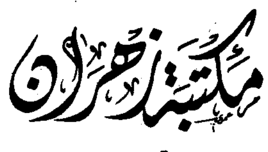
مارجري لوتي

الرّايَةَ البيْضاء



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

الراية البيضاء

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
PRISONER IN PARADISE

١- بداية الحب.. صفعة

من المكان الظليل الذي كانا جالسين فيه قرب المسبح التابع للفندق، امكنهما ان يشاهدا منظر خليج اكابولكو الرائع المنتشر على امتداد البصر تحتهما، تعلوه سماء زرقاء خالية الا من غيمة واحدة.

وكانت الشمس المكسيكية تنهمر بنورها كما لو انها لم تتوقف من قبل ولن تتوقف من بعد، والمدى الرملي الذي على شكل تلال، يرى من خلال سقف النخيل سهلاً متواصلاً لا تقطعه، هنا وهناك، سوى أكوام من الصخور السوداء. وكان البحر، فيما وراء ذلك المدى الرملي، بلون الياقوت الأزرق وقد نقطته اشرعة المراكب بألوانها الزاهرة.

كان كل شيء يفوح برائحة الحر والبحر وعبير الطيوب التي كانت تهب مع نسيم المساء، من احد أشهر المنتجات الراقية في العالم كله.

وكانت القيلولة في غرف الفندق المبردة قد انتهت، وبدأ النزلاء يخرجون وهم يسترون أجسامهم البرونزية استعداداً للسباحة او التزلج على الماء او الغطس او ما الى ذلك من انواع الرياضة، او لمجرد الاستلقاء في حر الشمس للتفكير في ما يليق ارتداؤه على العشاء، ولقضاء ساعات الليل الأولى.

واستند الشاب الأسمر ذو الملامح الفتية الى مرفقه ليحدّق في الفتاة المضطجعة بجانبه ويقول لها:

ـ هذه هي الجنة... ولا يعوزها الملائكة! وأنا لا أطلب الا ان

يكون لي ملاك واحد... هو سارة.

قال ذلك مداعباً، ولكن عينيه الزرقاوين في وجهه الواضح المشرق حملتا كلامه على محمل الجد.

وادارت الفتاة رأسها نحوه وأجابت:

ـ لا أظن اني ملاك، ثم... ولكن شكراً في كل حال.

وتناولت قبعتها التي سقطت من على قمة رأسها ووضعتها جانباً على العشب المحيط بالمسبح.

وكانت سارة، في ذلك المكان الذي يغص بالفتيات الجميلات، ذات جمال غير عادي. فجسمها، وهي ترتدي لباس البحر، أبرز بشرتها الملونة بحرارة الشمس وقامتها الفارعة الهيفاء. وكان شعرها المنكفىء عن وجهها الغض الصغير ذا بريق أصفر كالذهب. غير ان عينيها الواسعتين البنفسجيتي اللون وراء رموشها الكثيفة هما مستودع سحرها وعنوان فتنتها. ولم تكن سارة جاوزت الثامنة عشرة من عمرها.

وقال لها رفيقها الشاب:

ـ ليتني شاعر، فأقول فيك اجمل الكلام.

وتناول احدى يديها وراح يداعب أناملها، واحدة واحدة. وسحبت يدها بعد لحظة وتطلعت الى الفندق من فوق كتفها.

فقال لها تيم:

ـ لا تقلقي يا سارة... فزوج امك ليس هنا... رأيته مع ذلك الرجل الثري ومرافقيه، وأنا خارج من الفندق منذ قليل.

فقطبت جبينها لأنها تذكرت ان رالف فرنسيس زوج امها، أخذ منذ بضعة أيام يقامر مع ذلك الرجل الثري الذي يدعى سورانو، ويبدو انه كان يخسر، ولكن لا احد في مقدوره ان يعلم مبلغ الخسارة ولا قدرته على تحملها. ولكنها شعرت بتبدل في تصرفاته، فأصبح أقل مرحاً وبشاشة، برغم احتفاظه بما اعجبها من حلاوة في المعشر ورصانة في التفكير.

وعاد تيم الى الكلام يقول لها:
ـ اشعر يا سارة ان رالف لا ينظر بعين الرضى الى علاقتنا، فهل تعرفين لماذا؟ انا لم اسىء اليه في شيء.
فأجابته على الفور:
ـ لا أرى سبباً يحمله على معاداتك يا تيم. . . وهو فوق ذلك لا يعرفك!
فقال لها:
ـ عندما رآنا خارجين من المسبح هذا الصباح لاحظت على وجهه امارات الغيظ الشديد. . .
فأجابت قائلة:
ـ لا وجود لهذا الأمر الا في مخيلتك يا تيم.
قالت ذلك وهي تعلم انه كان على حق في ما لاحظه. فزوج امها لم يشجع أياً من الشبان الذين حاموا حولها، منذ ذلك اليوم الذي أخرجها فيه من المدرسة الداخلية، لتكون رفيقته في حله وترحاله. ومن أولئك الشبان طوبي بارنز في موناكو، وذلك المحامي الذي صادقته في غراند باهاما، وكثيرون سواهم من الذين لم تطل علاقتها بهم. ذلك لأن رالف، ما ان يلاحظ ان العلاقة اصبحت جدية، حتى يسارع الى انذارهم بقطعها. ولم تكن تدري ماذا كان يقول لهم ولا كيف كان يقنعهم.
وكان يفعل ذلك مع سارة ايضا. غير ان ذلك لم يكن يزعجها لاعتقادها بأنه انما كان يفعل ذلك حرصاً منه على الاحتفاظ بها.
فكان يقول لها بابتسامته الناعسة:
ـ لا أظنك تبالين بذلك الشاب يا عزيزتي. الا توافقين معي انه مراهق؟ انا لا أنوي ان أدع احداً يأخذك مني بعد. . . ألا تسرك رفقتي؟
وكانت سارة تقنع نفسها بأن ما يقوله صحيح فهي في رفقته على أحسن حال، وان كان لم يهتم بأمرها طوال تلك السنين التي تلت وفاة

والدتها وهي في السابعة من العمر. فقد يكون له عذره، هكذا شاءت ان تعتقد. ثم انه كان يعشق الحياة الصاخبة التي لا تتناسب مع وجود أولاد. غير انه عوض عن ذلك منذ حين، عندما اخرجها من المدرسة الداخلية لتعيش معه. وعادت الذاكرة إلى اليوم الذي زارها فيه، وهي بعد في المدرسة، وكانت في السابعة عشرة، وقال لها:

ـ آه، يا الهي... كم تغيرت، اصبحت فتاة رائعة الجمال! هيا بنا نخرج من هذا المكان، لأنه لم يعد يليق بك...

وحين دخلت رئيسة المدرسة أعلن لها انه سيخرجها من المدرسة في نهاية الفصل الدراسي، لتبني مستقبلها معه.

وسر ذلك رفيقاتها وهنأنها قائلات:

ـ ليت لنا زوج ام مثله يا سارة... ولكن الدنيا حظ ونصيب... اخبرينا ماذا يشتغل في الحياة، وكيف أصبح غنياً الى هذا الحد؟

وقهقهن ضاحكات. كان ذلك منذ سنة، وهي اليوم لا تزال تجهل الجواب عن ذلك السؤال. كل ما تعرفه هو انهما ينتقلان من فندق الى آخر في موناكو وايطاليا والريفييرا الفرنسية وجزر الباهاما... والآن في مكسيكو.

وكان رالف يستقبل بترحاب حيثما حل، فله اصدقاء كثيرون وهم من علية القوم. وكان يغدق الهدايا على سارة ويكثر من تعريفها على الأصحاب والأصدقاء. وكان ذلك يفرحها بعد سنوات من العيش في المدرسة الداخلية، كيف لا، وهي الآن تنعم بكل ما في الحياة من حرية ورخاء ورفاهية.

وكان رالف لا يدعها تستقر على حال في أي مكان، خصوصاً اذا راقت لها عشرة احد الشبان. فكان يقول لها:

ـ سنغادر اليوم يا عزيزتي، فهذا المكان أصبح مضجراً...

يحزمان حقائبهما في الحال، ويطيران الى منتجع اخر، حيث يكون

على سارة ان تبدأ حياتها من جديد. وغالباً ما كان الرجال الذين تتعرف عليهم من عمر رالف، اي في الاربعين او الخمسين. ولكن حالما يبدي احد الشبان اهتماماً بها كان رالف ينذره بطريقته الخاصة فيبتعد عنها. ولم تهتم لذلك لأنها لم تكن تقع في غرام اي واحد منهم. ثم انه كان يطيب لها ان ترى رالف حريصاً كل ذلك الحرص على ان لا يدعها تبتعد عنه في مستقبل قريب.

غير ان تيم لم يكن في نظرها مثل سائر اولئك الشبان الذين عاشرتهم... كانت تشعر نحوه بعاطفة شديدة، ولذلك صعب عليها ان تتحمل فراقه في آخر الاسبوع. ولم يسرها على الاطلاق قول رالف لها على الغداء ذلك النهار:

ـ ألا تعتقدين انك تكثرين من ملازمة ذلك الفتى يا عزيزتي سارة؟

قال ذلك بابتسامته المعهودة التي تنضح بالكبرياء والثقة بالنفس، كما لو انه كان متأكداً من موافقتها على كلامه. غير انها هذه المرة قالت له:

ـ اميل الى تيم، وأنا متأكدة انك تميل اليه ايضا اذا تعرفت عليه جيداً. فهل توافق على دعوته الى العشاء اليوم مع أخيه الذي سيغادر المكان غداً، بينما يبقى هو الى ما بعد نهاية الاسبوع؟

فأجابها رالف مظهراً أسفه:

ـ لا يمكنك ذلك يا عزيزتي، لأني وعدت كارلوس سورانو والبيرتوس وزوجته بتناول طعام العشاء معهم.

ـ كارلوس سورانو؟

ـ لماذا لا؟ فأنت، على ما أعلم، تميلين اليه.

فهزت كتفيها وأجابت بدون ان تنكر ذلك:

ـ لا أميل اليه كثيراً... وأنا لا احب الطريقة التي ينظر بها الي.

فقهقه رالف ضاحكاً وقال:

ـ هذه عادة الاسبانيين يا عزيزتي. فهم يظهرون اعجابهم

بصراحة تامة اذا رأوا فتاة جميلة. وأنت فتاة جميلة، بل اجمل فتاة في هذا المنتجع...

ـ يا لك من مداح عظيم!

قالت ذلك ضاحكة، ولكن الغم ملأ قلبها لأنها ستقضي ليلة أخرى في صحبة ذلك الرجل الثري، ذي الشفتين الحمراوين المبللتين والشعر القليل.

فقال لها رالف:

ـ هذا ليس مديحاً يا صغيرتي، بل الحقيقة... وكارلوس معجب بك جداً...

وبدت على وجه رالف امارات الرضى، مما أدهش سارة وجعلها تتساءل في نفسها: لماذا يرضيه ان يكون كارلوس معجباً بها؟ ولم تجد تفسيراً لذلك سوى ان رالف قد يكون طامعاً في عقد صفقة مع الرجل...

عاد ذلك كله الى ذاكرتها وهي مضطجعة بجانب تيم تحت حر الشمس اللاهب. كان تيم يحدق فيها طوال الوقت، ثم تناول يدها وقال:

ـ لي ما أقوله لك يا سارة...

وتوقف قليلا ثم تمتم قائلا:

ـ ما أريد قوله ليس سهلا كما ظننت... ما أريد قوله، يا حبيبتي سارة، هو انني مغرم بك الى أقصى حد!

فلم يرق ذلك لسارة. فهي لم تكن تريد ان تسبب له اي اذى، لأنهما لا بد سيفترقان قريباً. فقالت له:

ـ ولكنك تعلم يا تيم اننا لم نتعارف الا منذ بضعة أيام!

فأجابها قائلا:

ـ أيام، أسابيع، سنين، لا يهم. ما يهم اني وقعت في غرام فتيات كثيرات من قبل، او حسبت اني وقعت في غرامهن. اما في شأنك فالأمر مختلف كل الاختلاف. وما ذلك لأنك فقط جميلة وحلوة

وخفيفة الظل، بل لأني احسك هنا في قلبي وفي أعماق كياني. . .

فصاحت به متوسلة:

ـ لكن يا تيم. . .

ولكنه لم يتوقف عن الكلام، بل تابع قائلا:

ـ يجب ان تصدقيني يا سارة. . . انا اعلم اني أسرح وأمرح وأتظاهر بأني لا أبالي بشيء، كما هي الحال مع كل واحد هنا. اما في الواقع فانني تعس في داخلي لأنني سأفارقك بعد يومين وقد لا ألقاك ثانية. . .

فأجابته قائلة:

ـ آسفة يا تيم، ولكني لا أعلم كيف. . .

فقاطعها بقوله:

ـ اعلم ما تريدين أن تقوليه يا سارة. . . بل عديني انك لن تقطعي صلتك بي بعد ان اعود الى دورسه.

دورسه، لم تقل لي بأنك تسكن في دورسه، انا أعرف المكان جيداً، نشأت وترعرعت هناك، في المدرسة القريبة من بورغوث.

ـ يا الهي، أصحيح هذا؟ يا لها من مصادفة سعيدة.

ورقت عيناه الزرقاوان من شدة الحماسة وتابع مستدركاً:

ـ لا. . . ليس في الأمر مصادفة، بل انه القدر كما يقولون.

وعوض ان تخمد سارة النار زادت في ايقادها، حتى بلغت الحماسة بتيم حد القول لها:

ـ سارة، حبيبتي، ما رأيك في أن نعلن خطوبتنا؟

ومال بنظره عن وجهها الذي غمرته الدهشة وتابع قائلا:

ـ ان نعلنها في الحال اذا شئت، لئلا يقال اننا بعد صغار السن، بل نعقدها سراً فيما بيننا.

فقالت له وهي تكاد تنفجر ضاحكة:

ـ كفى يا تيم، كفاك حماسة. اشكر لك كلامك الحلو، ولكن ما تقترحه هذا مستحيل. الا ترى اني لست مغرمة بك. . .

ولاحظت سارة ما أصابه من ذهول عند سماع كلامها، فسارعت الى الاستدراك:

- لم أقع في غرام احد بعد... بالمعنى العميق لهذه العبارة. ولعل السبب اني لم احظ في حياتي بعد بمعاشرة الشبان الذين من جيلي... فلم اترعرع في بيت عائلي حقاً، لأن والدتي ماتت وأنا صغيرة فعشت في مدرسة داخلية الى السنة الماضية. نعم، كنت اقضي العطلة احياناً عند بعض صديقاتي، ولكن اخوتهن كن أصغر مني سناً...

وابتسمت مازحة وهي تضيف:

- وهكذا ترى اني عشت حياة كلها أمان واطمئنان!

ولكن تيم لم يبتسم لأنه كان، على ما يبدو، يفكر بحجة لاقناعها بوجهة نظره.

وقال وقد ظهرت عليه امارات القلق:

- ولكنك على الأقل تشعرين نحوي ببعض الحب يا سارة... قولي لي ذلك بصراحة ولا تبتعدي عني حين الامسك!

فشدت على يده وأجابت:

- أنا اميل اليك يا تيم...

- وهل تسرك رفقتي؟

- نعم، وكيف لا؟

فاقترب منها وحاول معانقتها، ثم ابتعد قليلا وحدق في عينيها قائلا:

- آه، ما أجملك يا سارة وما أحلاك.

وتطلع الى وجهها ملياً ثم انتصب جالساً وقال:

- سنقضي حياتنا معاً يا حبيبتي، وسنكون سعداء.

ثم أدار وجهه فرأى اخاه فقال:

- يا لسوء الطالع... ها هو اخي، ولا بد انه جاء كعادته ليكلفني بمهمة ما.

وأجالت سارة نظرها فشاهدت جايسون نايت يقترب من الضفة

المقابلة للمسبح. ولم تكن شاهدته سوى مرتين من قبل، فلاحظت انه كان متعجرفاً ولا يشبه اخاه تيم في شيء. وكان تيم أخبرها بأنهما كانا في ذلك المتجع لقضاء مهمة تجارية الى جانب رغبتهما في قضاء العطلة الاسبوعية. وأخبرها كذلك بأنه انهى منذ حين دراسته في كامبريدج وهو الآن يتدرب على القيام بالعمل التجاري الذي توارثته العائلة. . . وهو عمل له علاقة بالسفن. ولم يخف عنها انه كان يضيق ذرعاً بمثل ذلك العمل، ولكنه لم يكن يعتقد انه كان بامكانه ان يتهرب من المشاركة فيه.

وسار جايسون نحوهما الى ان وصل اليهما. وفي حين كان جميع الرجال هناك في لباس السباحة، أصر جايسون على ان يلبس بنطالا قصيراً وقميصاً من الكتان على كتفيه العريضتين.

وشعرت سارة بالامتعاض من ذلك الرجل الطويل القامة المعتد بنفسه، المقطب الجبين. . . وشعرت بذلك حتى قبل ان ينطق بكلمة، وهي التي لم يكن من عادتها ان تتسرع في اصدار حكمها على الآخرين.

وتجاهلها جايسون وخاطب أخاه مباشرة بقوله:

- انهيت القسم الموكل الي من المهمة يا تيم، ويبقى عليك انت ان تدرس أوراق الطلبات وهي موضوعة على الطاولة في غرفة النوم. وخير لك ان تبادر الى ذلك في الحال لأنني احب ان اضطلع عليها انا ايضا قبل ان اغادر هذا المكان في الصباح الباكر.

والتفت تيم نحو سارة مبتسماً، ثم نهض واقفاً على قدميه وقال:

- الواجب يدعو، وعليّ ان أطيع.

ثم انحنى ولامس شعرها بشفتيه وقال لها:

- لا تنسي ما قلت لك يا حبيبتي.

واتجه بخطوات ثابتة نحو الفندق.

وتوقعت سارة ان يلحق به اخوه، ولكنه لم يفعل، بل جلس في المكان الذي اخلاه وقال لها بصوت اجش:

ـ لي ما أقوله لك يا آنسة تيلدسلي.

ثم جال نظره فوق جسمها على نحو جعل الدم يسري حاراً في عروقها. فلم يكن في اكابولكو كلها فتاة تلبس اي شيء سوى لباس البحر في ذلك النهار الخانق. غير ان هذا الرجل سمح لنفسه ان يجعل من ذلك سبباً يخول له اهانتها بنظراته.

ومدت سارة يدها وتناولت قبعتها القش الكبيرة وامسكتها امامها. وكانت تؤثر ان تجلس منتصبة، وقدماها على الأرض، لمواجهة ذلك الرجل. غير انها اذا فعلت ذلك، فلا بد لها، لضيق المكان من ان تلامس ساقيه، وهو أمر أرادت ان تتجنبه على الرغم من كل شيء. فما كان منها الا ان أبقت القبعة امامها بمثابة حجاب بينها وبينه، وراحت تحدق اليه ببرودة وتهيىء نفسها لسماع ما أراد ان يكلمها به. وقال لها:

ـ اظنك تعلمين ما أريد ان أكلمك به.

ـ وكيف لي ان أعلم؟

ـ ألا تعلمين؟ اذن اسمعي، اريدك ان تتركي اخي وشأنه!

ـ ماذا؟ أنت. . . تريدني. . . ان. . .

وأعياها الكلام غير مصدقة ما يقوله لها. وفيما هي كذلك سمعته يقول:

ـ انظري. . . لا تضيعي الوقت. فوقتي ضيق، ولدي عمل يجب ان انجزه الليلة.

فصاحت به سارة غاضبة:

ـ اذن، فما عليك الا ان تذهب في الحال وتنجزه. واعتقد ان هذا الحديث طال اكثر مما يجب!

وحاولت الابتعاد عنه، ولكنه امسك بمعصمها بقساوة فصرخت في وجهه:

ـ دعني. . . دعني وشأني!

فرفع حاجبيه الاسودين الكثيفين وقال متهكماً:

- لا تصرخي . . . والا حسبوا ان صراخك صرعة جديدة في أكابولكو!

فتمالكت سارة نفسها وقالت له بصوت هادىء:

- حسناً، ارخ يدك عن معصمي فاستمع الى ما تريد ان تقول لي.

فنظر اليها ملياً قبل ان يفلت يدها. وأدركت ان صدرها كان يعلو ويهبط من شدة الغيظ، حتى كاد يزيح عنه قطعة القماش الصغيرة التي كانت تستره.

وقال لها:

- لا تقلقي ولا تنفعلي يا آنسة تيلدسلي، فأنا لا احمل لك أية ضغينة شخصية، بل لو كنت في ظروف اخرى، لتصرفت نحوك تصرف المعجب بك. لكن القضية الآن تتعلق بأخي الأصغر الذي أعماه، على ما يبدو، سحرك الأخاذ، وأخشى ان تبدر منه أعمال طائشة لا تليق بك وبه.

فحملقت فيه، وقد استولت عليها الدهشة، وقالت له بصعوبة:

- انت رجل وقح يا سيد نايت. . . فابتعد عني!

فلم يرق له هذا الكلام، ولكنه تمالك نفسه ونظر اليها بعينيه الباردتين وقال:

- يبدو لي انك فتاة عنيدة وتحاولين ان تتصرفي كمن اهينت كرامتها! فأؤكد لك، يا آنسة تيلدسلي ان هذا لا يؤثر عليّ. . . قد يؤثر على اخي الأصغر تيم، لأنه لا يزال ساذجاً. اما انا فاتيح لي اكثر منه ان أرى مساوىء هذا العالم الشرير، ولذلك اشعر بمسؤوليتي عنه.

فقالت بحدة:

- مسؤوليتك عنه؟ هذا كلام هراء. فتيم بلغ سن الرشد وهو يجب ان يكون مسؤولا عن نفسه. . .

- قلت يجب ان أكون مسؤولا عنه وأكرر هذا القول. جئت به الى هنا، الى هذا المكان البعيد عن محل سكنانا، وأنا الذي رباه منذ

الطفولة. ولا أريد ان أقول اني اشعر نحوه بعاطفة الأبوة، ولكني اتحاشى ما أمكن ان أرى تعبي في تربيته يذهب سدى في سبيل شيء لا معنى له... مثلك يا عزيزتي!

ولم تعد سارة قادرة على الصبر، فما كان منها الا ان صرخت في وجهه:

ـ لن أقول لك، اكراماً لتيم، كل ما أريد ان أقوله، فأكتفي بالقول انك رجل سخيف تثير القرف!

واتسعت حدقتا عينيها من شدة التأثر، فيما نهض جايسون ووقف الى جانبها بقامته المديدة، فأحست بقشعريرة خوف تسري في جسمها. كانت ذراعاه وساقاه مجدولتين مكتنزتين كمن قضى معظم ايامه يصارع الطبيعة، ومع ذلك بدا قوامه ممشوقاً لا يعوزه شيء من كمال العافية والرجولة.

وتراجعت سارة قليلا ونظرت الى الأمام، غير ملتفتة يمنة اويسرة، فلم تقع عيناها الا على صدره العاري المليء بالشعر. وحين حاولت ان تسير نحو الفندق، وقف في طريقها، فقالت له:

ـ دعني اذهب، ارجوك. أريد ان اخبر زوج امي ماذا جرى بيني وبينك.

فأجابها قائلا:

ـ عبثاً تخبرينه، فالأمر لا يهمه. بل لعله يشكرني على قطع صلتك بتيم. فقد يكون عندي الانطباع بأنه يطمح الى بعيد...

وكان الارهاق قد بلغ من سارة حداً منعها من ان تستوعب تماماً ما نطق به جايسون، ولكنها قالت:

ـ كيف... كيف تجرأ على مثل هذا الكلام؟

وتراجع جايسون خطوة الى الوراء وتناول من جيب بنطاله القصير قصاصة من الورق وقال لها مبتسماً بسخرية:

ـ جئت بهذه الورقة لعلك تقرأينها فتساعدك على التعقل.

ووضع الورقة في يدها، ففتحتها ونظرت اليها، فاذا بها تحتوي

على شيك بخمسين دولاراً.

وهنا ثارت فمزقت الشيك ورمته في وجهه وهي تصيح:

- انت... انت.

فأمسك بها يهدىء روعها ويقول بتهكم لاذع:

- مهلا... مهلا... دعك من هذا المشهد المسرحي!

فرفعت سارة يدها ولطمته على وجهه بكل ما لديها من قوة، ثم دفعته عن طريقها واتجهت نحو الفندق بخطى سريعة. ثم دخلت غرفتها في الطابق الثالث وارتمت على سريرها تشهق بالبكاء.

ومضى عليها وقت طويل وهي تبكي وترتجف من الغيظ. ولم تستطع ان تنسى جليسون وهو ماثل امامها يهددها ويوجه الاتهام الى رالف، ثم يتوج اهانته لها بذلك الشيك الذي اعطاها اياه كأجرة لها على الوقت الذي صرفته في عشرة اخيه. كما قال لها بكل وقاحة. وكم آلمها ذلك، خصوصاً ان صداقتها لتيم كانت هنيئة بريئة لا ساقطة دنسة كما حاول اخوه ان يصورها.

ونهضت عن الفراش وراحت تذرع الغرفة ذهاباً واياباً وهي في غضب شديد. وشق عليها انها لم تكن تقدر ان تفعل شيئاً لرد تلك الاهانة. وليس من الحكمة ان تخبر تيم بالأمر لئلا توقع بين الاخ واخيه.

وشيئاً فشيئاً عاد اليها هدوؤها. وذهبت الى غرفة الحمام وغسلت يديها ووجهها ثم شربت ماء بارداً. وعزمت بينها وبين نفسها ان لا تدع رجلا كجليسون ثابت ينغص عليها عيشها، وما قاله لها لن يؤثر على الصداقة التي كانت بينها وبين تيم.

وتساءلت في نفسها: ماذا يا ترى قال جليسون لاخيه بشأن علاقته معها؟ وأي روايات اختلق عنها؟ ولكنها كانت على يقين بأن تيم لن يسمح لأخيه بأن يسيطر عليه ويوجهه حيث يشاء. وغداً حين يغادر جليسون الفندق، ستعامل تيم برفق وعطف، مع الحرص على ان لا تجعله يتوقع ما لا تستطيع ان تعده به.

وفكرت ايضا انها يجب ان تعامل رالف معاملة حسنة خاصة، فهو يستحقها لما أبداه نحوها من الكرم والرعاية. ثم انها لن تدع رجلا كجايسون نايت ينال من سمعته ويكيل له التهم، مهما يكن القصد الذي يرمي اليه من وراء ذلك. فلن يكون قصده سوى القدح والذم، وهي لن تعير هذا الأمر اي اهتمام ولن تخبر رالف عنه، بل على العكس سترتدي الثوب الذي يحبه عند تناول طعام العشاء معه تلك الليلة، وستحاول ان تساير صديقه كارلوس سورانو اذا كان ذلك يرضيه ولكنها في هذه الأثناء ستلزم غرفتها الى ان يحين وقت العشاء، لأنها لم تشأ ان ترى وجه جايسون مرة أخرى ذلك النهار.

وبعد مرور ساعة من الزمن كانت سارة جالسة امام المرآة تضع اللمسات الأخيرة على وجهها استعداداً للسهرة حين طرق الباب ودخل الى الغرفة رالف نفسه.

فالتفتت نحوه بابتسامة ترحيب وقالت:

ـ اهلا، ظننتك لا تزال تلعب الورق.

فمشى الى الداخل واستند الى الشباك ونظر اليها باعجاب وقال:

ـ احب ظلال الكحل هذا على جفنيك... وهو جديد على ما أرى!

وكانت فتشت في حقيبتها على هذا النوع من الكحل الذي تعرف انه يحبه، وهو ذو لون ازرق مائل الى الارجوان، ظنت انه يجعلها تبدو على شيء كثير من الترف ورهافة الذوق.

وقال لها:

ـ بدأنا بلعب الورق، ولكن كارلوس تلقى خبراً جعله يضطر الى التوقف عن اللعب... والآن هل انت مستعدة لتناول طعام العشاء؟

ـ مستعدة؟ بيننا وبين موعد تناول الطعام ساعة وأكثر فلماذا العجلة؟

وبعد ان نظرت الى ساعة يدها ثم اليه، قالت بتدلل:

- تبدو في غاية الاناقة هذه الليلة يا سيد فرنسيس!

وكان رالف يبدو كذلك بالفعل، حتى كاد يشبه احد الممثلين السينمائيين الذائعي الصيت. ثم أضافت الى ذلك قولها:

- لماذا كل هذه الأناقة؟

ذلك لأن رالف كان، على غير عادته في مثل تلك الظروف، يرتدي سترة سوداء وربطة عنق.

فقال لها:

- تغيرت الخطة يا عزيزتي... فكارلوس غادر الفندق الى منزله مضطراً ودعانا الى تناول طعام العشاء معه. فهل بامكانك ان تكوني مستعدة بعد ربع ساعة؟ فستأتي سيارة لتقلنا الى هناك...

- سيارة؟

- نعم يا عزيزتي. فعندي لك مفاجأة، وهي ان كارلوس دعانا لا الى تناول طعام العشاء في منزله فحسب، بل الى قضاء الليل كله هناك ايضا.

- في منزله؟ ولكني سمعتك تقول انه يسكن في المكسيك، اي على مسافة مئتي ميل على الأقل...

- نعم، ولا يستغرق الوصول الى هناك اكثر من أربعين دقيقة في طائرة كارلوس الخاصة...

ولاحظت سارة انه كان مسروراً جداً بهذه الدعوة من رجل ثري، رفيع المكانة الاجتماعية ككارلوس.

وكانت ردة فعل سارة، لأول وهلة، انها لا تريد ان تذهب. ذلك لأنها لا تزال تشعر بالاضطراب والامتعاض مما جرى في ذلك النهار. ثم ان مجرد التفكير بقضاء السهرة والليل في منزل قوم في سن الكهولة ملأ قلبها بالكآبة. وكانت تؤثر الف مرة ان تتناول طعام العشاء في غرفتها، ثم تنام باكراً، بحجة انها تشعر بالصداع. وفي الصباح تنهض، بعد ان تتأكد ان جايسون غادر الفندق، لمقابلة تيم عند المسبح.

ولكي تربح الوقت قالت لرالف:
- من سوانا سيكون في منزل كارلوس؟ وهل كارلوس متزوج؟
- كلا، انه أرمل. فقد زوجته منذ سنة... ومهما يكن، فهذه فرصة سانحة لتري من الداخل بيت رجل ثري جداً.
- ومتى نعود؟
- غداً، كما أتوقع، واذا لم يعد كارلوس فسنستقل طائرة ما. والآن، ماذا ستلبسين يا سارة؟ ليتك تلبسين ذلك القفطان الذي اشتريته لك في ناسو. فهو يليق بك ويزيدك جمالا على جمال. وأكثري من لبس الحلي، لأن جو بيت كارلوس سيكون على ما أعتقد، جواً رسمياً اكثر من جو الفندق هنا.

وبعد ان داعبها بكلامه، رجاها ان تسرع في تهيئة نفسها. ثم نزل الى بهو الفندق لانتظارها هناك.

ونظرت اليه وهو يغادر الغرفة، ثم تبعته لتقول له شيئاً، ولكن المصعد نزل قبل ان تلحق به. وكانت تريد ان تسأله:
- هل ألبس ثياب السهرة الآن ام ثياب السفر؟

فهي تعودت ان تأخذ رأيه في مثل هذه الأمور، لأنها على الرغم من قضاء نحو سنة في المتجمعات التي يتردد اليها ابناء الطبقة الثرية المخملية لم تكتسب بعد كل الثقة بأنها تعرف آداب السلوك والتصرف في مثل هذه التجمعات. والمثل على ذلك تصرفها مع جايسون نايت وكيف كان عليها ان تحسّن الرد عليه اكثر مما فعلت.

وأخذت تلملم أدوات الزينة وتضعها في الحقيبة الخاصة بها، ثم أغلقت باب خزانة الثياب التي تحتوي على فساتين في غاية الروعة، ذلك ان رالف لم يبخل عليها بشيء لكي يجعلها تتألق جمالا وسحراً.

وقال لها مرة:
- ما الفائدة من ان يكون للرجل ابنة حسناء اذا كان لا يعرض جمالها على الناس؟

ومنذ البداية اعتاد ان يختار لها ما تلبسه في مختلف المناسبات

الاجتماعية. وفي مرة او مرتين انتقدت بائعة الثياب ذوقه، فقالت له:

ـ ألا تظن يا سيدي ان هذا الثوب او ذاك لا يليق بصبية حسناء؟

ولكن رالف لم يكن، على العموم، يأخذ برأي احد. وكانت سارة تشعر بالرضى لاعتزازه بها وتعريفها على اصحابه ومعارفه في الفنادق التي كانا ينزلان فيها.

ووجدت سارة القفطان الذي أشار عليها رالف ان تلبسه تلك الليلة، فلبسته وتحلت بما يلائمه من الأساور والعقود والاقراط، ثم أخذت تتمرى وتبدي اعجابها بألوان القفطان الصاخبة وفتحة صدره الواطئة التي تظهر محاسن صدرها، وفجأة استولت عليها الرغبة في ان تنزع عنها ذلك القفطان وتستعيض عنه برداء صيفي بسيط من الكتان وتسرع الى المسبح، حيث تمسك بيد تيم وتجري معه ضاحكة لاهية.

غير انها رأت ان مثل هذه الرغبة تنم عن نكران الجميل الذي طالما اسداه اليها رالف. فمن حقه عليها ان ترافقه تلك الليلة لأنه، على ما بدا لها، يعلق اهمية كبرى على تلبية الدعوة التي وجهها اليه صديقه كارلوس. وعلى كل حال، فبامكانها ان تلقى تيم عند عودتها غداً الى الفندق.

ودهمها الوقت فسارعت الى وضع ما تحتاج اليه في حقيبة السفر، ثم ألقت نظرة اخيرة على شكلها في المرآة وغادرت الغرفة الى المصعد.

وفي البهو استقبلها رالف بابتسامة الرضى، وكذلك فعل كارلوس حين امسك يدها ورفعها الى شفتيه وقال:

ـ يا الهي، ما هذا الجمال!

ووضع يده تحت مرفقها وقادها نحو الباب الخارجي، فيما مشى رالف الى جانبه. ولاحت على شفتي سارة ابتسامة القبول والرضى، حتى اذا وصلت الى حيث كانت السيارة بالانتظار رأت تيم مقبلا في

الممر الذي يؤدي الى شرفات الفندق يرافقه اخوه جايسون. ورآها هو ايضا فاندفع نحوها وهو ينادي قائلا:

ـ سارة... اني ابحث عنك!

ثم توقف مرتبكاً حين أدرك الوضع الذي كانت فيه.

ولم يكن بوسع سارة ان تفعل شيئاً، او تقول له كلمة. كل ما كان بوسعها ان تفعله هو ان تبتسم له لعله يدرك ان ذهابها برفقة ذلك الرجل الكهل لم يكن باختيارها.

وجمد تيم في مكانه يحدق الى سارة وهي تسلّم ذراعها الى ذلك المكسيكي الذي مال اليها كأنها ملك له.

وفيما ظهرت الدهشة على وجه تيم، والحيرة ايضا، مما كان يشاهد امامه، وجد جايسون ان الأمر كان طبيعياً، وهنأ نفسه لأن ما توقعه صار على ما يبدو، حقيقة واقعة.

وأمسك جايسون بذراع اخيه ومشى به الى الأمام، فيما كانت سارة ورفيقاها يدخلون السيارة التي ستقلهم الى المطار.

وهمس كارلوس في اذن سارة:

ـ ارجو ان تكوني مرتاحة يا عزيزتي سارة.

فأدارت وجهها نحوه وأجابت:

ـ ماذا تقول؟ اوه نعم... شكراً.

ولكنها علمت انها لن ترتاح ابداً كل الارتياح حتى تتأكد ان جايسون نايت غادر الفندق ولن ترى عينيه الغريبتين اللتين تثيران الاضطراب والقلق.

٢ـ اعطته القمر والنجوم

كان منزل كارلوس سورانو، في الغابة المرتفعة التي تحيط بمدينة مكسيكو، قصراً سحرياً في نظر سارة، لا يعوزه غول ولا عفريت.

صحيح ان كارلوس لم يكن ذلك الغول او العفريت، بل مجرد رجل ضخم الجثة، متقدم في السن، صنع نفسه بنفسه.

وكانت سارة سمعت بما يتحلى به المكسيكيون من حلاوة المعشر، الّا ان كارلوس أسرف وغالى في التحلي بهذه الصفة. وادركت سارة ذلك حين جلس بينها وبين رالف في السيارة الكبيرة التي اقلتهم الى المطار وتعمد ان يميل الى جهتها ليشير الى الاماكن المثيرة للاهتمام التي كانوا يمرون بها.

ولم يرفع كارلوس يده عن مرفقها وهي جالسة الى جانبه تشعر بالحرج وتحدق من النافذة الى الحوانيت والمطاعم وناطحات السحاب والجنائن والمنازل القديمة التي كانت على جانبي الشوارع المليئة بالسيارات الفخمة والعابرين من المشاة.

وقال كارلوس لسارة:

ـ ها هي الحديقة العامة وهي من اعظم حدائق العالم، وفيها كل شيء. متاحف ومعارض، ومسارح، وملاعب، وبحيرات وحديقة حيوانات، وما الى ذلك.

واحست سارة انها تكاد تفقد صوابها... فكل شيء في المكسيك، في نظر هذا الرجل، لا مثيل له في العالم كله. وكان يتكلم

عن كل شيء كأنه هو الذي يملكه!

وكان منزله بين الاشجار فوق المدينة مثيراً للدهشة والاعجاب حقاً، حتى ان رالف ذاته لم يتمالك من الشعور بان قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه وهم يلجون الى الداخل. وتراءى لسارة ان صفقة تجارية ما قد تكون وراء هذه الزيارة. وتذكرت ما قاله جايسون نايت عن ان «رالف يذهب في طموحه الى البعيد» فظنت ان ذلك يشير الى نوع من الشراكة بين رالف وبين ذلك المكسيكي الثري. ولذلك عزمت على ان تلاطف كارلوس ما امكن، رغبة منها في تقديم المساعدة لرالف، جزاء ما كان يغدق عليها من الكرم والعناية.

وبدا لسارة ان المنزل يخلو من النساء، لان كارلوس قادها بنفسه الى الطابق العلوي حاملاً حقيبة سفرها. وفتح باب غرفة واسعة يتوسطها سرير مربع ضخم وعليه غطاء حريري موشى بمختلف الالوان، وقال لها:

ـ سأتركك ترتاحين قليلا الآن يا آنستي. ارجوك ان تقرعي الجرس اذا احتجت الى شيء. سنتناول طعام العشاء في الثامنة، وفي هذه الاثناء سأتحدث الى رالف في بعض الأمور... فالى اللقاء...

وجال بنظره في ارجاء الغرفة قبل ان يخرج، فخطر ببال سارة ان ضخامة جثته لا تناسب مناخ ذلك المكان، خصوصاً حين رأت حبات العرق عالقة بوجهه الأسمر الداكن. وتردد في الخروج وقال لها وهو يمسح حبات العرق:

ـ سترتاحين هنا جداً يا آنستي سارة!

فاجالت نظرها في الغرفة ملياً وهي تجيب:

ـ لا شك في ذلك.

ـ هذه غرفة زوجتي التي كانت في منتهى الجمال.

والتفت بنظرة الى صورة موضوعة على صندوق خشبي تمثل امرأة ناصعة البشرة، شقراء الشعر، ثم قال متأوهاً:

ـ لكن الحياة تسير الى الامام، وعلى الانسان ان يعوض دائماً ما

يفقده... ولا تنسي ان الانسان مبني على النسيان.

ـ نعم، نعم، بالطبع.

وتأوه كارلوس ثانية ورمقها بنظرة وابتسامة ثم خرج واغلق الباب وراءه.

وشعرت سارة بالضيق وهي واقفة في وسط الغرفة. وخطر لها ان من اللياقة ان تظهر حزنها على ما حل بالرجل من خسارة تركته وحيداً في ذلك القصر المنيف، ولكنها احست ان فيه ما يجعلها تنفر منه. وهكذا تطلعت بكثير من الشوق الى انتهاء تلك الزيارة.

وتناولوا طعام العشاء في غرفة رحبة تنفتح على الحديقة بباب زجاجي عريض، مما جعل من الصعب على الانسان ان يتبين اين تنتهي الغرفة لتبدأ الحديقة. كان العشب يغطي الممرات، وانواع النبات تعرض على الجدران البيضاء. وكانت تماثيل النحاس ترتفع على قواعد من الحجر الرخامي هنا وهناك في ارجاء الحديقة. اما الغرفة فكان اثاثها الفاخر يفوق الوصف.

كان على المائدة معها ثلاثة رجال، والثالث رجل قصير القامة اسمر اللون، اسود الشعر، عرفه كارلوس باسم جوزي هوميز. وكان هذا الرجل معظم الوقت يتحدث الى رالف الذي كان بقربه عند الجانب الآخر من الطاولة، فيما جلس كارلوس على رأس الطاولة وسارة الى يمينه. وكان الطعام غير مألوف، حتى ان سارة لم تكن تعرف ماذا كانت تأكل.

وقال لها كارلوس:

ـ انا شخصياً، يا آنستي سارة، افضل المآكل المكسيكية. ولكني رأيت ان هذه المآكل تحتوي على قدر كبير من البهار والفلفل، بحيث خفت ان تؤذي شفتيك الناعمتين. ولذلك امرت، باعداد هذه المآكل التي لا خطر منها.

قال ذلك ورمقها بنظرة فيها شيء من الدعابة، فبادلته النظرة بابتسامة كلها لياقة وادب.

وعندما انتهت وجبة العشاء، دعا كارلوس سارة الى الجلوس على مقعد مريح، ثم جلس بقربها وقال:

ـ ارجو ان تكوني على ما يرام، يا آنستي!

فاصلحت من جلستها واجابت:

ـ نعم، شكراً... ولكنّ الطقس حار قليلاً!

ـ مع الأسف، طقسنا في هذه الأيام مزعج خصوصاً لمن لم يعتد عليه... اتريدين ان تخرجي الى الحديقة، حيث الهواء عليل في مثل هذا الوقت؟ وهناك أيضاً اريك ما فيها من تماثيل فنية رائعة.

ونهض واقفاً فتبعته وهي تنظر الى حيث جلس رالف يدخن سيكاراً ضخماً، وقد تركه المدعو غوميز لوحده ولختفى في الجانب الآخر من القصر.

فقالت له سارة:

ـ الا تريد ان ترى الحديقة يا رالف؟

ـ ولكني مرتاح جداً هنا.

وابتسم لها من خلال دخان السيكار وقال لكارلوس:

ـ اعذرني يا كارلوس خذ سارة وحدك الى الحديقة، وسأمتع نظري بمرأى حديقتك الغناء في وقت آخر.

وتبادل الرجلان النظرة، فقال كارلوس وهو يعير ذراعه لسارة:

ـ لا تزعج نفسك يا صديقي.

ونظرت سارة الى رالف مستنجدة، ولكنه اغمض عينيه علامة السرور والارتياح. فما كان امامها الاّ ان استسلمت لرفقة كارلوس وحاولت ان تتحمله بصبر.

كان الطقس في الحديقة أكثر برودة. ولم يكن الليل مقمراً. فبدت الحديقة تحت الظلال الكثيفة التي عكستها ضياء النجوم. وفيما هما يسيران في الممرات المرصوفة بالحجارة، كان العبير يفوح في الارجاء، فيبعث النشوة في النفس.

وقال لها كارلوس وهو يميل نحوها:

ـ الا تشعرين بمزيد من الراحة الآن!
ـ نعم، شكراً.
قالت ذلك بصوت خافت وهي تفكر كيف تدعوه الى العودة الى الداخل، بدون ان تخل بقواعد اللياقة.
وقال لها:
ـ سأريك الآن شيئاً خاصاً جداً.
وشدّ على ذراعها تحت ابطه فاحست بحرارة جسده تحت السترة الرقيقة التي يرتديها.
وفي نهاية ممر طويل، وتحت احدى القناطر، وصلا الى مكان تكثر فيه اغصان الاشجار الباسقة، فتمكنت سارة من رؤ ية منزل قائم على مسافة قريبة من هناك، وبدا لها المنزل الرمادي المعتم محاطا بالسحر والغموض.
ـ هذا المنزل هيكلي الخاص. بنيته كما أريد، لاجد فيه كل ما ارتاح اليه في اقامتي هنا. فانا، كما تعلمين، من مريدا وأحسب نفسي من توكاتيكو قبل ان اكون من المكسيك. وفي احد الاهرامات هناك، حيث اتوا بي عندما كنت طفلا، رأيت منزلاً سرياً، فيه نمر عيناه من ياقوت، فأثر فيّ تأثيراً بالغاً. وهذا المنزل ليس نسخة عن الذي رأيته، بل شيئاً يذكرني به...
وسارا نحو المنزل، وحينما وصلا اليه انحنى كارلوس وضغط على زر هناك فتدفق النور في خارج المنزل وفي داخله. وفي الممر الى المنزل انتصب حيوان رهيب، فاغر الفم، ذو عينين زجاجتين خضراوين.
فقال كارلوس وهو يداعب رأس الحيوان:
ـ هذا نمري الصغير... انه جميل جداً، الا ترينه كذلك؟
فاجابت وهي ترتجف:
ـ انه مخيف حقاً!
ـ لا... لا. انه لا يؤذي احداً. نحن اليوم اقل قساوة مما كنا في ذلك الزمن. ففي ذلك الزمن كان في الاهرامات بئر عميقة، وكان

الناس يزينون بناتهم الجميلات بالحلي ويلقونهن فيها، كهدية لشاك رمز المطر...

ويعد ان ربت على يدها قال مقهقهاً:

- اما في هذه الايام، فلا نقدم بناتنا الجميلات هدية لأحد... فنحن نحتاج اليهن لمهمة أفضل!

وكم كانت دهشتها عظيمة حين أزاح القفطان عن كتفها وحاول معانقتها. فصرخت قائلة:

- لا. لا. ماذا تفعل؟

فضحك قائلا:

- انت خجولة يا آنستي... وأنا أحب الفتاة الخجولة... أحبها كثيراً... والآن، دعينا نعود الى رالف، اتوافقين؟

فاجابت بصوت مكبوت:

- نعم، ارجوك... فانا احس بالغثيان، ومن الخير لي ان آوي الى فراشي في الحال، اذا لم يكن ذلك مخالفاً لقواعد اللياقة.

قالت ذلك برغم أنها تذكرت بأنها جاءت الى هنا لتساعد رالف في نجاح صفقته التجارية مع كارلوس، وحاولت ان تقنع نفسها ان ما فعله كارلوس لم يكن يستحق الاهتمام، بل على العكس يبعث فيها الشفقة عليه. غير أن هذا لا يعني أنها تطيق ان يلمسها او يقترب منها.

فقال لها كارلوس ملبياً طلبها:

- لك ما تشائين. وآسف أشد الاسف لانزعاجك، فهل يمكنني أن اساعدك في شيء؟

هل استدعي لك الطبيب، مثلاً؟

فسارعت الى القول:

- لا، لا.. لا حاجة الى ذلك البتة. انه الحر فقط لا غير. ولا شك ان حالي ستتحسن في الصباح.

ومشت بخطى سريعة نحو المنزل. وكان رالف لا يزال جالساً

يدخن، فوقفت سارة امامه وقالت له:

ـ لست على ما يرام، وأريد الذهاب الى الفراش.

فنهض رالف واقفاً على قدميه ونظر اليها مرة والى كارلوس مرة أخرى. وكان كارلوس لحق بسارة ووقف وراءها وقال لرالف:

ـ الآنسة سارة تشعر بالانزعاج من الطقس، وهذا امر غالباً ما يحدث للذين استضيفهم هنا لأول مرة. فالافضل لها ان تخلد الى الراحة!

فزال العبوس عن جبين رالف وقال مظهراً اهتمامه:

ـ نعم، نعم... أنا آسف يا عزيزتي! هل تحتاجين الى شيء أستطيع ان افعله لك؟

ـ كلا... شكراً.

كان كل ما ارادته في تلك اللحظة ان يتركاها وشأنها. ولما ودعتهما حاول كارلوس ان يرافقها الى الغرفة، فأصرّت على الذهاب وحدها لعدم حاجتها الى رفيق. وما ان دخلت الغرفة حتى خلعت عنها القفطان وارتمت على الفراش وهي تتنفس بسرعة.

ومضى وقت طويل قبل ان تهدأ اعصابها. واعترفت بينها وبين نفسها انه من السخف ان تشعر بأنها مهدّدة. فلا شيء حدث يبرر هذا الشعور. فهي لم تسيء الى السيد سورانو ولا خانت رالف، ولكنها تكون شاكرة اذا تمكنت من العودة غداً صباحاً. فهناك، في اكابولكو، لا تكون مضطرة الى لقاء ذلك الثري المكسيكي.

وكانت العودة أسهل مما توقعت. ففي الصباح أخبرها رالف ان كارلوس دعي الى حضور اجتماع في تكساس فغادر القصر باكراً وكلفه ان ينقل اليها اعتذاره.

وأخبرها رالف ايضاً ان سيارة ستقلها بعد الغداء الى المطار، حيث يركبان الطائرة عائدين الى اكابولكو.

فتنفست سارة الصعداء عند سماعها هذا الخبر، ولم تكتم سرورها به.

ورمقها رالف بنظرة سريعة بدون ان ينطق بكلمة. وفي طريق العودة كان هادئاً. ولكنه عندما رافقها الى غرفتها في الفندق، حاملاً لها حقيبتها أسمعها كلاماً حوّل مجرى حياتها.

قال لها وقد جلس في كرسي مريح بقرب النافذة:

ـ كانت رحلتنا البارحة ناجحة، الا توافقيني؟ كارلوس رجل عظيم، وهو يملك ثروة لا تحصى، وله قصر لا يفيه حقه، كما رأيت، اي وصف.

ثم نظر الى سارة التي كانت غارقة في التفكير وتتساءل اين ستجد تيم ومتى ستتصل به. فبعد خبرتها مع كارلوس شعرت انها بحاجة الى تيم لتعود الى الاحساس بالشباب وزهوه.

وتابع رالف كلامه فقال:

ـ بعد ان ذهبت الى فراشك ليلة البارحة، تحدّثت حديثاً طويلاً مع كارلوس، وهو كما تعلمين رجل ناجح في عمله، ويملك مصنعاً لصنع الآلات الخاصة باستخراج النفط...

فقاطعته سارة مظهرة اهتمامها:

ـ ولكن ما لك ولمثل تلك الصناعة يا عزيزي؟

ـ أنا؟ كيف لا... يا الهي!

ـ كنت أظن انك تشارك كارلوس في بعض الاعمال التجارية، ولهذا السبب دعانا الى زيارة قصره!

وساد الصمت قليلاً. ونظر رالف الى حذائه المصنوع من الجلد الطبيعي الفاخر، ثم رفع عينيه الى سارة وقال:

ـ دعيني أخبرك شيئاً يا سارة. عندما رأيتك في المدرسة قلت في نفسي: هذه الفتاة رائعة الجمال، وفوق ذلك فهي ذكية ومليئة بالحيوية، فلماذا لا اصطحبها معي في اسفاري. وكنت أتوقع اننا سنرى الاشياء بمنظار واحد ونعيش معاً بانسجام تام، فصح توقعي، الا توافقينني؟

فاجابت بحماسة مفتعلة:

ـ نعم، نعم. . . هذا صحيح.
ـ وقلت لنفسي أيضاً انك فتاة لا بدّ ان تخلص لرجل مثلي وتكافئه على ما احاطها به من عناية، اذا ما حل به مكروه أو نزلت به الخسائر. واعلم الآن ما توقعته فيما يتعلق باخلاصك لي كان في محله. . .

فجالت بنظرها في تلك الغرفة الواسعة الفاخرة وقالت:
ـ ولكن. . .

فقاطعها قائلا بتأوه:
ـ جلبت لي حسن الحظ، بادىء الامر يا سارة. اما فيما بعد فالحقيقة هي اني مفلس يا عزيزتي، مفلس وفي منتهى الافلاس. . . وأنا بين يديك الآن واحتاج الى معونتك!

فاجابت على الفور:
ـ سأفعل كل ما استطيعه. ليتنا نعود الى انكلترا، وهناك أتدرب على العمل في وظيفة ما. . .

فتجهم وجهه وصاح:
ـ على العمل؟ لم اكن اقصد هذا ابداً!
ـ اذن، ماذا تقصد؟

فابتسم بصبر واجاب:
ـ ألا تعلمين لماذا دعانا كارلوس الى قصره؟ لا تخبريني انك غبية الى هذا الحد. . .
ـ غبية؟ ماذا تعني بغبية؟
ـ يا عزيزتي دعيني أصارحك. . . الدعوة كانت موجهة اليك!
ـ اليّ؟
ـ نعم، اليك.

وانتظر قليلاً لعلها تستوعب كلامه وتابع قائلا:
ـ كارلوس يريد ان يتزوجك يا عزيزتي. وهذا يحل كل مشاكلنا.
فحدّقت اليه غير مصدقة، ثم قالت وهي تحس بجفاف حلقها:
ـ يتزوجني؟ آه، يا الهي! هذا شيء فظيع! وماذا عساني أقول له؟

فاجابها قائلا:
- ما تقوله كل فتاة عاقلة، وهو نعم يا سيدي!
فصاحت به:
- انت لست جاداً فيما تقول...
- وكيف لا اكون جاداً؟
وبدأت شفتا سارة ترتجفان وهي تتمتم:
- لا استطيع... لا استطيع أن أفعل ذلك ابداً... هذا مستحيل... هذا غير اخلاقي!
فابتسم ابتسامته التي تنطوي على الخبث والدهاء وقال:
- هدئي روعك يا عزيزتي... ليس الأمر على مثل هذا السوء كما تعتقدين... فكارلوس مثال الرجل الرجل!
فدبّت في جسمها القشعريرة وقالت:
- انه سمين وقبيح، ولا أطيق اقترابه مني... وهو متقدم في السن!
قالت ذلك ونهضت واقفة، ولكنها شعرت بوهن ركبتيها فعادت الى الجلوس. وسمعته يقول لها:
- اخبرني انه في الثانية والستين... فهو في الواقع ليس متقدماً في السن!
- ولكني في الثامنة عشرة. لا، لا اظنك الاّ مازحاً في هذا الامر كله! وفي كل حال، لن تجبرني على الزواج بمن لا أريده... نحن لسنا في القرون الوسطى!
وبدأ صوتها يرتفع، وأحست بالدماء تسيل حارة في عروقها. وحاولت ان تضبط اعصابها لاقناعه بالجدل والنقاش ان الفكرة التي يطرحها عليها فكرة سخيفة تافهة، الاّ انّ شدّة الصدمة لم تمكنها من ذلك.
ونهض واقفاً واقترب من السرير ووضع يده على رأس سارة وقال:

ـ طبعاً لا أستطيع ان اجبرك على الزواج يا عزيزتي. كل ما استطيع ان افعله هو ان أبينّ لك الفائدة منه، وخصوصاً الفائدة السريعة... فأنا اكاد لا أملك اجرة الفندق، واصحابه يمتنعون عن تأجيل استيفائها ما لم اخبرهم بأنك مخطوبة للسيد كارلـوس سورانو... وجلس بقربها على السرير وتابع كلامه قائلا بهدوء:

ـ هذا هو الواقع يا عزيزتي... والآن اتركك تفكرين في الأمر بينك وبين نفسك... ولكن يجب ان تعلمي اني لم أعد قادراً على ان اصطحبك معي، فيكون عليك ان تدبري امرك بنفسك. طبعاً يمكنك ان تجدي عملاً ما، ولكنك تجهلين لغة البلاد فلن يكون الامر سهلاً... وفي هذه الاثناء لا استطيع ان انفق عليك لأني لا املك المال حتى لانفاقه على نفسي... وامام هذا الواقع، الا ترين ان المسألة من الصعوبة بمكان؟

بدأت الدموع تتساقط على خدي سارة، فلم تستطع ان تتفوه بكلمة.

وتابع رالف كلامه قائلا:

ـ والآن سأتركك لوحدك كما قلت... لا شك في أني فاجأتك بكلامي هذا، ولكن اذا أمعنت النظر ملياً ادركت ان لا خيار لك الاّ القبول باقتراحي. تعقلي يا عزيزتي وارتدي اجمل ثيابك واستعدي لاستقبال كارلوس بابتسامة ساحرة عند رجوعه لتناول طعام الغداء معنا.

واتجه نحو الباب وهو يقول:

ـ سأعود اليك بعد نحو ساعة، فتكونين أخذت الوقت الكافي لاتخاذ قرارك.

ووضع يده على مسكة الباب وقال مقهقهاً:

ـ ستكونين، ولا شك، أرملة صبية وغنية يا عزيزتي!

وجلست سارة تحدق في الاشياء حولها وقد استولى عليها الذعر

الذي اخذ يحول الدم في عروقها الى ماء.

وفكرت أنه عليها ان تهرب... أن تترك الفندق في الحال وتركن الى الفرار. فتمالكت نفسها وسارت نحو الباب فوجدته مقفلاً. واتجهت نحو النافذة ونظرت الى أسفل فرأت رجلين يشقان طريقهما بين السيارات المتوقفة هناك، فترددت في مناداتهما لانهما لا يسمعان صوتها الاّ اذا صرخت، وهي لم تشأ ان تصرخ لئلا تثير الرعب في الفندق فتجعل الحال اسوأ مما هي عليه.

وأخذت اسنانها تصطك من شدّة القشعريرة التي سرت في جسمها، وتساءلت كيف يمكن ان تكون بمثل ذلك الغباء طوال الاشهر الماضية، فلم تتبين أي نوع من الرجال كان رالف في الحقيقة. كان مرتزقاً لا شأن له. ولكن كيف كان لها ان تتبين ذلك وهو الخبير في الدجل والنفاق، وهي الفتاة اليافعة التي لا تزال تنظر الى الحياة ببراءة وطيبة قلب.

وشعرت بالغثيان حين وضعت يدها على جهاز التلفون. رن فجأة وكان المتكلم تيم نفسه:

- سارة حبيبتي... كيف حالك؟ رأيتك تعودين مع رالف فانتظرت خروجه من الفندق لأراك... هل انت قادمة للسباحة الآن؟

فانهارت لهول المفاجأة ولم تستطع ان تتفوه إلاّ بكلمة:

- تيم، تيم، انا...

- ما بالك تشهقين بالبكاء يا حبيبتي... ماذا جرى لك؟

فامتلكت اعصابها وقالت له:

- تيم... اسمع! لا تسألني عن شيء الآن. انا سجينة في غرفتي ولا أستطيع ان اخرج منها. حاول ان تجد مفتاحاً آخر للغرفة وتعال افتح لي... اسرع... اسرع!

فبادرها قائلاً:

- سآتيك بعد لحظة!

ووقفت سارة قرب الباب وهي تتنفس بصعوبة. وخشيت ان يعود رالف ويلتقي تيم، فيحدث ما يورطه في هذا المشهد المهين. وحين سمعت المصعد يتوقف أحست بالدوار.

وكان تيم هو الذي فتح الباب، وما ان القى نظرة واحدة عليها حتى تغيّر وجهه. فاغلق الباب وأحاطها بذراعه وقادها الى السرير حيث اجلسها وقال لها:

ـ والآن اخبريني ماذا جرى لك!

فهزت رأسها وعضت شفتها واجابت:

ـ من الخطأ ان اورطك في هذا الامر... أما وقد فتح الباب، فبامكاني...

فقاطعها تيم قائلا:

ـ اخبريني... وسنبقى جالسين هنا الى ان تخبريني بكل شيء.

فنظرت اليه مترددة، وحين رأت امارات العزيمة على وجهه المشرق الفتي قالت له بصوت خافت:

ـ انه رالف زوج امي... اكتشفته فجأة على حقيقته... يريد ان يزوجني كارلوس سورانو!

فصاح بصوت يملأه الرعب:

ـ سورانو؟ ذلك الرجل السمين القبيح؟

فوضعت يدها على ذراعه وتلفتت كأنما للغرفة آذان، ثم قالت:

ـ بربك، لا ترفع صوتك!

فتابع كلامه بصوت منخفض محاولاً ان يطمئنها ويهدىء من روعها ويؤكد لها ان لا احد يستطيع ان يرغمها على الزواج من ذلك الرجل، خصوصاً انها بلغت سن الرشد.

فاجابت بهدوء:

ـ نعم، يستطيع. وهو يعلم ذلك!

وادركت الآن ان تيم هو سبيلها الوحيد الى البقاء على قيد الحياة، وبما انها اخبرته بهذا الأمر، فعليها ان تروي له الحكاية من أولها،

فروت له بالتفصيل ما فعله رالف وقاله لها. وعندما انتهت شدها اليه وقال:

ـ يا له من رجل ذميم! ولكني استغرب كيف انطلت عليك حقيقة أمره!

فأجابته قائلة:

ـ لم اعرفه الا من بضعة أشهر، حين جاء الى المدرسة وأخرجني منها ليسكنني في بيت. وكان لطيفاً وساحراً، فاعتنى بي عناية فائقة واشترى لي أفخر الثياب وأثمن الحلي، وأخذني الى أرقى أماكن اللهو... ولكنه كان في كل هذا يعتبرني نوعاً من «بوليصة» تأمين. وقال لي مرة انني غبية، وكان على حق في قوله هذا...

وتوقفت عن الكلام لحظة، ثم تابعت قائلة:

ـ لكن هذا الأمر لا شأن لك به، يا عزيزي تيم. كل ما أطلبه منك الآن هو أن تعيرني بعض المال لأتمكن من الهرب الى مكان ما. بامكاني، ربما، ان اذهب الى مدينة مكسيكو، فهي مدينة كبيرة ويصعب عليه ان يجدني فيها. واذا تمكنت ان اصبح بمنجى منه، يتسنى لي عندئذ ان...

فقاطعها تيم وقال ساخراً:

ـ نعم... وماذا يتسنى لك ان تفعلي يا حبيبتي!

ـ شيئاً ما... ولا بدّ ان يساعدني القنصل البريطاني... او السفير.

ـ ولكن، الا تظنين ان ذلك هو المكان الذي سيبحث فيه رالف عنك؟ واذا وجدك، فهل تستطيعين ان تتصوري التهم التي سيختلقها ليوهم الناس انك فتاة ضالة شاردة، تثأر لفشلها في غرام ذهبت ضحيته؟ وبذلك يستطيع اعادتك الى حيث كنت.

ووضع يده على فمها ليمنعها من الكلام وقال:

ـ دعيني أخبرك يا عزيزتي ماذا سيحدث. وقبل كل شيء يجب ان انقذك من ذلك الرجل الدنيء... هل بطاقة هويتك معك؟ او جواز

سفرك؟

ـ نعم، هنا في حقيبتي. كان رالف حريصاً على ان تكون بطاقة هويتي معي كتدبير احترازي في حالة اضطررنا الى الافتراق... فهو، على ما اظن، لم يخرج من حسابه امكانية التخلي عني والسفر الى مكان ما في حالة فشله فيما كان يطمح اليه!

وهنا نهض ثم اوقف سارة على قدميها قائلا:

ـ هاتي حقيبة يدك وضعي فيها ثوب نومك وادوات زينتك وما الى ذلك، فهي لا تسترعي انتباه احد.

وبعدما فعلت ذلك قالت:

ـ الا اترك خبراً عن مغادرتي الفندق بملء ارادتي، لئلا يظن رالف ان احداً اختطفني، فيشكو الامر الى الشرطة!

ففكر تيم ملياً ثم تناول ورقة وكتب عليها بتوقيعه: اخذت سارة الى مكان ما... لا تحاول البحث عنا، لانك لو وجدتنا لا تستفيد منها شيئاً... فهي ستتزوجني.

فنظرت سارة اليه وقالت:

ـ ولكني اخبرتك يا تيم انني...

فقاطعها قائلا:

ـ كان ذلك بالأمس، اما اليوم فتغير كل شيء.

واحاطها بذراعه الفتية وهو يقول:

ـ هيا يا حبيبتي.. لا وقت نضيعه... ستتزوجيني. الا توافقين؟

فترددت في الاجابة، فكرر عليها السؤال فقالت:

ـ اوه يا تيم، سأكافئك على هذا الذي تفعله لاجلي... نعم، اقسم لك اني سأكافئك.

هذه طريقة غريبة لقبول طلب زواج، وكانت سارة تتمنى لو انها تستطيع ان تصرح بحبها الشديد له، غير ان الوقوع في الحب لم يكن لها عهد به، ولكن اذا حدث لها فليته يكون مع تيم دون سواه.

وامسك بيدها وقال لها:

ـ والآن هيا بنا. يجب ان نسرع في الخروج من هنا. من الافضل ان تنتظري في غرفتي ريثما احزم امتعتي وأدفع ما عليّ للفندق. وأتأكد ان رالف ليس في طريقنا عند خروجنا. واحست سارة كأنها محمولة على موجة عارمة. ونظرت اليه بابتسامة اعجاب حارة وقالت:

ـ انت تفكر في كل شيء يا تيم!

وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة، حين نزلا في فندق آخر أقل ضخامة واكثر تواضعاً، كررت سارة في اذن تيم ذلك الكلام ولكن بصيغة اخرى، فقالت:

ـ كنت رائعاً حقاً في ما قمت به يا تيم. اكاد لا أصدق ما حدث!

فابتسم بحياء واجاب:

ـ حالفنا الحظ يا حبيبتي، اذ وجدنا مقعدين في الطائرة وغرفة شاغرة في هذا الفندق ثم سهولة الزواج في المكسيك، خصوصاً للسياح. آه، يا سارة! لا استطيع انا ايضاً ان اصدق كل ما جرى!

ووقفا يداً بيد امام نافذة ذلك الفندق الصغير في مدينة مكسيكو، ونظرا الى الشارع المزدحم تحتهما. ولم تكن سارة تريد الرجوع الى تلك المدينة مخافة ان يكون كارلوس كامناً في مكان ما، ولكن تيم استخف بشعورها هذا وقال:

ـ في هذه المدينة ثمانية ملايين نسمة وانت فيها كالابرة في كومة من الرمل!

ومع ذلك، فعندما غادرا مكتب الزواج، أصرّت سارة على العودة الى الفندق حيث تناولا غداء خفيفاً ثم وافقت على كل ما اقترحه تيم من خطط للمستقبل.

وقال لها:

ـ لدي يومين بعد من عطلتي، فدعينا نجعل منهما شهر عسل. . . لا أريد ان استعجل الامور، فانا اعلم انك لست مغرمة بي، ولكن. . .

فقاطعته قائلة:

ـ كفى، يا تيم!

وكادت تغرورق عيناها بالدموع مرة ثانية وهي تتابع كلامها قائلة:

ـ تيم، حبيبي... لا تظن اني احاول ان اصدّك عني... فانا اتوق جداً الى قضاء شهر عسل معك.

فنظر اليها بشغف كأنها ناولته القمر والنجوم على طبق من الفضة، ثم نهض وخرج للقيام ببعض الترتيبات والتدابير. وبعد نحو ساعة عاد الى الفندق واخبر سارة انه حجز غرفة نوم في القطار الذي سيسافر الى فيراكوز. فهذه المدينة، كما قيل له في مكتب السياحة، تقع على الجانب الآخر من بلاد المكسيك، وبامكانهما ان يقضيا هناك يومين وبعد ذلك يعودان الى مدينة مكسيكو حيث يكون جايسون وصل اليها فيلتقيان به. فهو في يوكاتان الآن يتولى تصريف بعض الاعمال. وهنا ضحك وقال:

ـ يا الهي كم سيفاجئه زواجنا!

ـ يفاجئه؟ لا بل اكثر من ذلك بكثير، اذا اخذنا بعين الاعتبار ما عيّرني به.

ولم تكن سارة تتشوّق ابداً الى لقاء جايسون، ولكنها عزت نفسها بأن الظروف تغيرت كثيراً بعد لقائها الاول به قرب المسبح. فهي اولاً زوجة اخيه تيم، وثانياً اصبحت تدرك انه كان محقاً في بعض ما حدّثها به. فيبدو انه كان يعرف عن رالف اكثر بكثير مما كانت تعرف. ولكنه اخطأ في شيء واحد، وهو انه ظنها متواطئة مع رالف في ما كان يقوم به من اعمال مشينة.

ولكن على الرغم من هذه المبررات كلها، فهي لم تستطع ان تنسى تهجمه عليها، وتعجرفه واعتداده بنفسه، وتمنت ان يقوم الدليل فيما بعد على خطأها في الحكم عليه.

وقالت لتيم:

ـ اخشى ان يكون لأخيك انطباع سيء عني...

فاجابها:

- اذا كان الامر كذلك، فعليه ان يزيل هذا الانطباع، وساصارحه بذلك. ولكني لم اكن اعلم انه تحدث اليك، او انكما تعارفتما.

وبدا تيم قلقاً بحيث مالت سارة الى الاعتقاد ان الأخوين تخاصما بسببها.

وقال لها:

- ماذا قال لك اخي؟

- لا شيء يستحق الذكر. كل ما في الامر انه لم يكن ينظر، على ما ظننت، بعين الرضى الى صلتك بي. ولكن ارجو ان اكون على خطأ في ظني هذا.

وجمع تيم قبضة يده غضباً وقال:

- لا يحق له ان يكلمك بهذا الشأن. فهو في كل الأمور يريد ان يكون الأمر الناهي، ويعتقد انه يستطيع ان يوجه لي حياتي... ولكنه سيرى عاجلا بانني سيد نفسي، ورجل متزوج ايضاً، وهو امر لم يستطع ان يحظى هو به.

فسألته سارة قائلة:

- أليس جايسون متزوجاً؟

فاجابها:

- كلا... فهو حريص على الاحتفاظ بحريته. وطبعاً، كل الفتيات يتهافتن عليه. وعلى كل حال، فكوني الأخ الاصغر أمر لا احسد عليه ابداً، خصوصاً وقد مات والداي فأصبح علي ان انظر الى اخي الاكبر كأنه والدي، واصبح عليه هو ان يعاملني كذلك... ولكن من الآن فصاعداً سأقلب هذه الصفحة من حياتي واحتل المكان الذي هو من حقي كشريك في مؤسسة نايت لبناء السفن في دروسه بانكلترا... وقبل ذلك يجب ان اعود بك الى هناك يا حبيبتي واعرفك على عمتي فيرا التي تدير شؤون البيت لنا. ثم نجد لنا بيتاً

صغيراً خاصاً بنا بجانب البحر ونقضي ايامنا هناك.

وظلت سارة تتذكر الى زمن بعيد كيف نظر اليها وهو يقول هذا الكلام، وكيف أشرق وجهه سروراً وابتهاجاً.

فقالت له:

ـ شيء رائع!

وكانت تعني ما تقول. فهي في تلك اللحظة لم تكن تستبدل جمال الطبيعة في دروسه بكل منتجعات الدنيا.

كانا جالسين في غرفة سارة، ثم نهض تيم ومشى الى حيث جهاز التلفون على طاولة بجانب السرير وقال:

ـ لست متحمساً ان افعل هذا، ولكن قد يكون من الخير لي ان اتمرن على دوري الجديد، سأتصل بأخي جايسون واخبره بما طرأ علي...

وابتسم ابتسامة الثقة بالنفس ورفع السماعة وطلب رقم اخيه في مدينة مريدا. وفرحت سارة بما بدر منه فقامت وجلست بجانبه على السرير كأنما ارادت ان تحيطه بالعناية.

وقال لها مبتسماً:

ـ اخذت بعض الدروس في الاسبانية، قبل مجيئي الى المكسيك، فكيف رأيتني؟

فاجابت وهي تبادله الابتسامة:

ـ انك تثير اعجابي.. فانا لا أعرف من هذه اللغة اكثر من كلمتين او ثلاث.

وساد الصمت برهة، ثم تكلم تيم طالباً التحدث الى اخيه، ولما وجده جرى بينهما الحديث الآتي:

ـ جايسون؟

ـ نعم، كيف الحال معك؟

ـ عندي مفاجأة لك... تزوجت! لا اتمكن من سرد التفاصيل الآن... سأفعل ذلك عندما نلتقي يوم الثلاثاء المقبل. نحن الآن في

مدينة مكسيكو، في فندق صغير... وسنسافر الى فيراكوز بعد قليل... سارة تيلدسلي... طبعاً... هي بجانبي الآن... هل تريد التحدث اليها؟ جايسون... جايسون... الا تزال على الخط؟

والتفت الى سارة قائلا:

- انقطع الخط...

وأعاد السماعة الى مكانها وقال:

- لا بأس، لديه وقت طويل ليمنحنا بركته، حين نلتقي يوم الثلاثاء!

- وماذا قال لك!

- لا شيء يستحق الذكر...

وظهر عليه الارتباك لحظة ثم أشرق وجهه وقال لها:

- تعالي يا حبيبتي... دعينا نسرع الى المحطة قبل ان يفوتنا القطار!

٣ـ امرأة اعتقلها الحب

أخذ تيم يقفز فرحاً على الفراش، في غرفة النوم التي احتلها مع سارة في القطار.

وكان القطار يبتعد عن محطة بونافيستا، حين قال لها:

ـ يا لها من فكرة رائعة، فكرة سفرنا في القطار... قد لا يصدق رالف ما اخبرته عن زواجنا في الرسالة التي تركتها له في الفندق ولذلك قد يكون بدأ يبحث عنا في المطار، ولن يخطر بباله أبداً أننا اخترنا ركوب القطار...

وجلست سارة قربه وهي مرتاحة مطمئنة. ولعل صوت عجلات القطار كانت تساعدها على ذلك.

وقالت له:

ـ يسرني ان نبتعد شيئاً فشيئاً عن رالف... وعن كل شيء.

وعضّت على شفتها السفلى، ثم انفرجت أسارير وجهها عندما تذكرت انها اصبحت الآن متزوجة ولم يعد رالف قادراً على تهديد حياتها. وقالت لتيم:

ـ ربما اتيح لنا في المستقبل ان نضحك على كل هذا الذي جرى لنا في الأيام الأخيرة من متاعب... ولكن اتعس ما يمكن ان يحل بالانسان هو ان يخيب أمله بشخص يثق به تمام الثقة، فيتحوّل فجأة من ملاك الى شيطان!

وضمها اليه وهو يقول:

ـ الآن انت في امان. . . الا تثقين بي؟
فوضعت يدها في يده واجابت:
ـ كيف لا اثق بك!
فبدت على وجه تيم امارات الجد والعزيمة، فشد على يدها بقوة وقال لها:
ـ سننجح في حياتنا معاً يا حبيبتي. . . وسنرى جايسون. . .
وتوقف عن الكلام قليلاً ثم تابع قائلا:
ـ تأملي كيف تمكّن هذا الانسان من توجيه حياتي بحيث جعلني اضطر الى الحصول على موافقته. . . لم أكن أقصد أن اقحمه في أمورنا الآن. . . فنحن في شهر العسل، ويجب ان لا أبالي البتة بموافقته، ما دمت تحبينني ولو قليلاً يا حلوتي سارة!
ـ نعم، نعم، هذا صحيح.
وتطلّعت الى وجه تيم ونسيت نفسها فجأة، كما نسيت عواطفها وأدركت ما كان يعانيه من أمل وشك وشوق. فما كان منها الاّ ان ألقت ذراعها حول عنقه وقالت:
ـ آه يا تيم، لو تعلم كم احبك!
وبدا مضطرباً الى حدّ خشيت ان يشهق بالبكاء، ولكنه تنفس نفساً طويلا وقال لها:
ـ كلامك هذا يملأ قلبي فرحاً يا حبيبتي.
وضمها اليه واضعاً خده على خدها. وبعد حين تراجع وقال لها:
ـ يبدو عليك التعب يا عزيزتي سارة. . . دعينا نسرع في الاحتفال بزواجنا، فنبدأ بتناول طعام العشاء في مطعم القطار. . . اوه، ولكنني نسيت ان اسأل اذا كان في هذا القطار مطعم. ولكن لا بدّ ان يكون هنالك خدمة من هذا النوع، فماذا تريدين ان تأكلي؟
ـ طعاماً بسيطاً جداً. فانا عطشانة اكثر مني جائعة!
فنهض قائلا:
سأذهب لأرى ماذا عندهم.

وفي باب الغرفة وقف ونظر الى الوراء وقال لها مبتسماً:
- كوني هنا عندما أعود...
وفتح الباب وخرج الى الممر.
واما سارة فنهضت ونظرت من النافذة. كان القطار يزداد سرعة وهو يترك ضواحي المدينة وراءه. وبدأت تشعر بشيء من الحبور. فالحظ حالفها، اذ لولا وجود تيم لكانت حالها يائسة... في بلاد غريبة لا تعرف لغتها ولا تملك فيها ما يسد رمقها.
غير انها كانت لا تزال تشعر بشيء من القلق نتيجة ما أقدمت عليه. هل زواجها من تيم يظلمه ام لا؟ فهي في قرارة نفسها تعلم انها لم تصبح بعد في عمر يؤهلها للزواج... ولكن ربما صدق قول العجائز منذ القديم، وهو ان الحب يجيء بعد الزواج لا قبله. ولكن حتى لو لم يصدق هذا القول وعجز تيم عن ايقاظ عواطفها الى درجة الحصول على السعادة التي تطمح اليها كل فتاة، فهي عازمة على اسعاده مهما كلفها الأمر. واذا كانت كذبت عليه الآن بقولها له أنها تحبه، فهي غير نادمة لأن كذبتها هذه خطوة هامة في هذا السبيل.
وبدأ الظلام يخيم، فيما القطار يسرع الى الامام. وتراجعت سارة عن النافذة وفتحت حقيبة يدها لتتناول أدوات الزينة، فرأت جواز سفرها وما اليه من الوثائق، بما في ذلك وثيقة زواجها، فأمسكتها وراحت تقرأها مرة ثانية. نعم، انها متزوجة الآن من تيموثي نايت، وهذه الوثيقة تشهد على ذلك. فأعادتها الى مكانها وهي تتنهد.
كان الحر شديداً في غرفة القطار، اذ كانت خالية من مكيف للهواء. فرشت ماء على وجهها وجدّدت زينتها، وصففت شعرها ومشطته، ونظفت اسنانها. فعلت كل ذلك ولم يعد تيم بعد. واشتاقت الى عودته لأن اعصابها بدأت تتوتر.
فذهبت الى الباب ونظرت خارجاً في الممر. كان تيم قد اتجه الى مقدمة القطار فعزمت ان تلحق به. وكان القطار في منتهى سرعته الآن، مما جعلها تستند بعناية الى جانبي الممر. ثم ازداد اهتزاز

القطار فجأة الى حد لم تستطع عنده ان تلقي يدها على شيء تتمسك به، فوقعت على الارض وهي تصرخ. وقبل ان يغمى عليها أحست بشيء ثقيل هائل يسقط فوقها.

وحين أفاقت استطاعت ان تتبينّ وجهاً داكن السمرة يبتسم لها وهي مستلقية في الفراش، ثم سمعته يتمتم كلاماً بالاسبانية لم تفهم منه سوى كلمة «جيد». وشيئاً فشيئاً بدأ يعود اليها كامل وعيها، فأدركت انها في غرفة صغيرة بيضاء الجدران، يتسلل اليها نور الشمس من خلال الستائر. ورأت ممرضة تجلس بقربها على حافة السرير. ثم عادت بها الذاكرة الى القطار وسقوطها في الممر وتيم، فصاحت:

- يا الهي، اين يتم؟ اين انا؟ هل زوجي بخير؟

كانت تتكلم الانكليزية فلم تفهم الممرضة شيئاً، فخرجت وجاءت بممرضة اخرى أكبر منها سناً، تفهم الانكليزية قليلاً، ثم قالت لها:

- زوجك السيد نايت ينتظر عند الباب... أتريدين ان تريه؟

- نعم، نعم ارجوك!

ففتحت الممرضة الباب وراحت تتكلم مع احدهم، فاستطاعت سارة ان تسمع صوت رجل ظنته تيم.

وعادت الممرضة الى داخل الغرفة يتبعها رجل طويل القامة، فلما وقع نظر سارة عليه جمدت الابتسامة على شفتيها. كان ذلك الرجل جايسون نايت!

وخرجت الممرضة وأغلقت الباب وراءها، فيما وقف جايسون قرب السرير وحدق الى سارة بعينيه الرماديتين الباردتين. وحين أخذت تردّد السؤال أين تيم، أجابها بصوت لا رحمة فيه ولا شفقة:

- تيم مات وأنت بقيت على قيد الحياة!

وأدار ظهره الى السرير كأنه لم يعد يطيق النظر اليها، وأخذ يتمتم كلاماً لم تفهم منه شيئاً، لا سيما انها فقدت الوعي.

وقضت سارة، بعد ذلك، اياماً سوداء، كمن يسير في نفق لا مخرج منه. وكانت تدرك، ولو على نحو غامض، ان كل واحد كان يحاول معاملتها بلطف، الاطباء والممرضات وسواهم، غير انها لم تكن تفهم تمام الفهم ما كانوا يقولونه، ولم تكن أيضاً تبالي به. بل كانت، في الواقع، لا تبالي بشيء على الأطلاق، حتى أنها استسلمت الى كل الفحوصات الطبية التي اجريت لها. الاّ ان شيئاً واحداً لم ينجحوا في اقناعها به وهو ان تتناول الطعام.

وبعد يومين او ثلاثة نقلوها الى غرفة اوسع مساحة، تنام فيها خمس نساء اخريات رحبن بها ايما ترحيب. الاّ ان سارة لم ترغب الاّ في اغماض جفونها وملاقاة ربها. وهذا ما جعلها تمتنع عن الطعام.

وفي احدى الامسيات سمعت صوتاً يسلم عليها بالانكليزية ففتحت اجفانها بلهفة، فاذا بها ترى امرأة فتية ترتدي ثياباً بيضاء وتقف بجانب سريرها وهي تحدق اليها بحيرة وتساؤ ل. كانت المرأة ذهبية الشعر، يملأ وجهها النمش. وعلى ثغرها الواسع ابتسامة ساخرة.

وقالت لها:

ـ والآن يا سارة، هل لك ان تقرري البقاء هنا معنا؟ لأنه، كما علمت من المسؤ ولين هنا، لم يعد من الجائز ان تؤجلي اتخاذ هذا القرار.

وفرحت سارة لسماع صوت يتكلم بالانكليزية، ولكنها لم تكن ترغب في ان يحول احد بينها وبين الموت، فاغمضت عينيها ومالت برأسها بعيداً.

فقالت لها المرأة:

ـ خفّفي عنك... لا شيء يستحق هذا الحزن الشديد!

فاجابتها بغضب:

ـ اليك عني... لا أريد ان أراك او اسمع صوتك!

فقالت لها بصوت هادىء:

- هذا افضل من ان تكبتي عواطفك...

وسمعت سارة صوت ازاحة كرسي بجانب فراشها، ففتحت جفنيها فرأت المرأة تجلس على الكرسي بدعة واطمئنان وتقول لها:

- دعيني اعرفك على نفسي... أنا ماري مكناب الطبيبة، وأعمل في هذا المستشفى الذي هو من أشهر مستشفيات هذه البلاد، وطلبت مني الادارة، بصفتي مواطنة انكليزية ان اتحدث اليك وأتفاهم معك... والآن يا سارة، اخبريني بما يقلقك وبما ترغبين فيه. لماذا ترفضين التعاون من أجل عودتك الى العافية، فتضربين عن الطعام هرباً من الحياة؟ قالوا لي انك من الناحية الجسدية بألف خير، لولا بعض الجروح البسيطة، وانك قادرة على مغادرة المستشفى بعد يوم او يومين. فقوي عزيمتك وتمالكي نفسك... فالحياة كلها لا تزال امامك!

فصاحت بها سارة قائلة:

- كيف اترك المستشفى ولا مكان لي الجأ اليه؟

فنظرت اليها المرأة بحنان وقالت:

- سنبحث هذا الامر فيما بعد. والآن هل عندك ما تستخبرين عنه؟ اخبروني عن قضيتك يا عزيزتي، فعلمت انك فقدت زوجك في حادث اصطدام القطار، واستطيع ان ادرك كيف تشعرين، لان مثل هذا الحادث وقع لي منذ مدة ليست بعيدة... والفرق الوحيد هو ان الحادث كان سقوط طائرة كنت على متنها.

فاظهرت سارة اسفها لما سمعته. اما الطبيبة مكناب فنظرت من النافذة وقالت:

- نعم، بعد وقوع الحادث كنت كأنني في الجحيم. وهكذا انت الآن... ولكن الحياة تستحق ان تعاش يا عزيزتي... وهي لا تتوقف عن السير الى الامام بسبب حادث، فمن الخير اذن ان نبذل اقصى ما يمكن من الجهد للعيش بهناء، ولا بديل لنا عن ذلك...

وبدأت سارة، بالرغم منها، تشعر ببعض الميل نحو تلك الزائرة.

وتابعت الطبيبة كلامها قائلة:

ـ مررت بأيام صعبة وسيئة يا عزيزتي، وزاد الطين بلة أخو زوجك الفاقد الذوق حين جاء لزيارتك وظن الذين استقبلوه انه زوجك لانه يحمل اسم العائلة. لا شك ان هذا الخطأ سبب هزة عنيفة لك، ولكنه وقع لسوء الحظ، والسيد نايت اعتذر أيضاً لوقوعه، وكان تلفن عدة مرات للاستعلام عنك قبل ان يسمحوا له بالمجيء لزيارتك...

فرفعت سارة صوتها صارخة:

ـ لا، لا... لا أريد ان ارى وجهه... فهو يبغضني ويلومني على موت تيم.

فأجابت الطبيبة معزية:

ـ انت مخطئة في ظنك هذا يا عزيزتي... لا أحد يمكنه ان يلومك. فحادث الاصطدام كان اسوأ حادث وقع منذ زمن بعيد، وكان الخطر عليك شديداً جداً، وانما نجوت باعجوبة...

ـ باعجوبة؟

ـ نعم، باعجوبة، وستدركين ذلك يوماً ما. اسمعي... سأعطيك عنواني في ادنبره وبعد عام يمكنك ان تزوريني هناك وتخبريني اذا كنت على صواب فيما اقوله لك.

قالت هذا الكلام ووضعت الورقة على الطاولة بجانب السرير ثم نهضت وقالت لها:

ـ السيد جايسون نايت ينتظر في الخارج. هل تسمحين له بالدخول؟

ـ هل هو هنا الآن؟

صاحت سارة بصوت مرتجف وتطلعت في الغرفة حولها ثم تابعت كلامها قائلة:

ـ لا تدعيه يدخل، ارجوك... لا اريد ان اراه!

ـ هل انت جادة في ما تقولين؟

- نعم، نعم. انه يخيفني.
وبينما هي تشهق بالبكاء قالت لها الطبيبة:
- كنت على حق حين ظننت أنّ هذا جزء مما تعانين منه... انا اجتمعت بالسيد نايت ولا اكتمك انه رجل فظّ الطبع، ولكن يجب الاّ تسمحي لأحد بأن يسيطر عليك يا سارة، انت شخص حر في ما يفعل، ولا سلطة لأحد عليك. وانت فتاة حسناء ويجب ان لا يزعجك رأي الآخرين، فيك، وخصوصاً... الرجال!
واقتربت الطبيبة من السرير وهمست قائلة:
- لا تنسي يا عزيزتي ما قلته لك، وأهمه انك يجب ان تواجهي هذا العالم بشجاعة وثقة بالنفس، واياك ان تدعي السيد نايت يتغلّب عليك أو يخيفك!
وتطلّعت سارة الى وجه تلك المرأة، فخيّل اليها انها ترى فيه نوراً في آخر نفق مظلم. كان ذلك رائعاً وعجيباً، كأنما الحياة عادت تسري في عروقها. وسرّها ان تشعر الآن انها هي نفسها ولا شيء آخر.
فمنذ طفولتها وهي تعتمد على الآخرين وتعمل كما يقال لها... في المدرسة... في مرافقتها لرالف... حتى في أيام علاقتها القصيرة مع تيم!
وانتصبت جالسة في الفراش لأول مرة، ولأول مرة منذ وقوع الحادث شعرت بزوال الالم حين تحرك جسمها. ورفعت رأسها عالياً فلم تحس بأي وجع على الاطلاق.
وقالت للسيدة مكناب:
- انت على حق، يا سيدتي، في كل ما قلته لي. أشكرك على زيارتك لي، وأرجوك ان تخبري السيد نايت ان يتفضل بالدخول؟
وما ان خرجت السيدة مكناب حتى دخلت الممرضة الحسناء ذات البشرة السمراء وبرفقتها جايسون نايت. وفيما هو مقبل نحو السرير حدّقت اليه النساء اللواتي في الغرفة،

وهن مأخوذات بقامته الفارعة، وكتفيه العريضتين، ورجولته التي تنم عن كبرياء وصلابة. كان يرتدي بنطالاً داكن اللون، وقميصاً ابيض، وربطة عنق، مما زاد جاذبيته وضاعف رجولته.

وقدمت الممرضة له الكرسي التي كانت تجلس عليها الطبيبة مكناب، ثم ابتسمت وهي تكلمه بالاسبانية، كلاماً بدا عليه انه فهمه. وما ان غادرت الغرفة حتى جلس وادار وجهاً عابساً نحو سارة وقال:

ـ اخبروني هنا ان صحتك صارت على ما يرام...

ـ نعم... وهذا لطف منك ان تأتي لزيارتي!

نطقت هذا الكلام بصعوبة وهي ترغم نفسها على النظر اليه كمن ينظر الى بئرٍ عميقة. وعاد الى ذاكرتها قول الطبيبة مكناب لها: لا تدعي احداً يسيطر عليك ويسحقك.

وزم جايسون شفتيه الرقيقتين المتحركتين وقال لها:

ـ انا متأكد انك لا تعنين ما تقولين. وفي كل حال، اعلمي ان اللطف ليس من صفاتي اذا كان الامر يتعلق بك.

وحوّل نظرته عنها كأنه لم يعد يطيق النظر اليها وتابع كلامه قائلا:

ـ بصراحة، لا شيء اتمناه اكثر من ان اغسل يدي منك. ولكن ذلك غير ممكن مع الأسف انت تزوجت اخي، وهذا يعني ان علي مسؤولية تجاهك، ان شئت ذلك ام ابيت! والذي عزمت عليه هو ان اقوم بهذه المسؤولية بأسرع وقت ممكن، حتى اخرجك من حياتي الى الابد!

وتمكنت سارة من الاحتفاظ بأعصابها هادئة. كان أخف وطأة عليها لو انها تستطيع ان تنظر اليه كرجل لا صلة شخصية لها به، كأنه مدير مصرف، او محام او امثالهما من الذين لا تتوقع منهم اي تفهم او عطف او لطف، لانهم حكموا عليك مسبقاً.

فقالت له:

ـ فليكن، ان كانت هذه ارادتك!

فحول عينيه نحوها بسرعة ورفع حاجبيه الاسودين وقال:
- سأدخل في صلب الموضوع، اذن. فقد لا نجتمع، بالضرورة، مرة اخرى. وهذا، على ما اعتقد، ما نرغب فيه كلانا.
فاجابت سارة:
- اوافق على كلامك...
واخرج جايسون بطاقة من جيبه ووضعها على الطاولة بجانب السرير وقال:
- في هذه البطاقة عنواني في انكلترا. فالى ان اعود ... واجتمع بمحامي، لا فكرة واضحة عندي بخصوص الوضع القانوني.
فقطبت سارة جبينها وسألت قائلة:
- أي وضع قانوني هذا؟
فزم شفتيه مرة ثانية واجاب:
- لا تضيّعي الوقت مدعية ان الامر ليس وارداً في عقلك الصغير الجشع... وفي كل حال، انا غير مستعد الآن لمدك بالمعلومات التي تتوقين الى معرفتها. فلا علم لي، مثلا، اذا كان اخي ترك وصية ام لا. ولكن بصفتك ارملته، فمن الطبيعي كما اعتقد ان تطالبي بحقوقك كاملة من الارث!
فتمتمت قائلة:
- لا اعرف شيئاً عن هذا الموضوع وصية، ارث، وما الى ذلك!
فتابع كلامه ساخراً:
- الا تعرفين؟ انك تفاجئينني بادعائك هذا، وماذا عن زوج امك؟ هل غاب ذلك عن باله ايضاً؟ ومهما يكن، فانا ارجو ان تسمحي لي بثلاثة اسابيع من هذا التاريخ، ريثما اعود الى انكلترا للاهتمام بالأمر. وعندئذ بامكانك انت، او زوج امك، الاتصال بي... هل هذا واضح؟
ونهض واقفاً وتابع كلامه قائلا بلامبالاة:
- اتمنى لك الشفاء العاجل!

واحست سارة بالدوار وهي تقول له:
- ارجوك ارجوك ان لا تذهب!
فالتفت اليها قائلا:
- لا اظن ان هنالك ما تريدين قوله.
فاستجمعت كل قواها وقالت:
- نعم، هنالك ما أريد ان اقوله الآن، وهو انني بحاجة الى بعض المال.
فوقف وحدق اليها قائلا:
- انتظرت ان اسمع منك هذا الكلام، عاجلاً، ام آجلاً. ولكن الحظ خانك يا عزيزتي... فلن تحصلي على درهم واحد حتى تنتهي من حصر ارث اخي... والى ذلك الحين، عليك ان تتكلي على ذلك الرجل الذي هو زوج امك!
فقالت له:
- أظهرت بكل وضوح وصراحة أنك تبغضني ولكنك اخو تيم، ولا اظنك ترضى ان تترك فتاة وحيدة مثلي، في بلاد غريبة لا اصدقاء لها فيها ولا اقارب ولا مال.
فعاد الى الجلوس وقال متعجباً.
- هل هذا صحيح؟
- نعم.
ونظر اليها متعجباً وقال ساخراً:
- يا لعينيك من بنفسجيتين غارقتين في ندى الصباح! ابهما كنت تنظرين الى اخي حتى اقنعته بالزواج؟
فتذكرت سارة كلام الطبيبة: لا تدعيه يسيطر عليك ويخيفك فقالت له:
- هل من الضرورة ان تتصرف معي مثل هذا التصرف الحيواني الفظ؟
وساد الصمت طويلا، ثم قطعه جايسون بقوله:

ـ انا قادم لتوي من جنازة اخي، فماذا تنتظرين مني؟
فتأوهت ودفنت وجهها بين يديها، ثم اخذت تجهش بالبكاء. ولم تكن بكت منذ علمت بموت تيم اذ لم يستطع ان يوقفها عن البكاء شيء.
ولما جفت دموعها شعرت بذراع الممرضة تحيط بها وتقول:
ـ بكاؤك هذا كله صحة وعافية!
فابتسمت لها سارة وتمتمت سائلة:
ـ هل ذهب السيد نايت؟
ـ نعم، وقال انه سيعود غداً.
وخشيت سارة ان تكون عودته مناسبة اخرى لتعذيبها وتساءلت: أما لهذا الليل من آخر؟
وقبل ان تغمض اجفانها للنوم تناولت كثيراً من الحساء، فسر الممرضات انها عادت عن الاضراب عن الطعام.
وفي الصباح تناولت طعام الفطور، ثم مشت لأول مرة الى غرفة الحمام حيث استحمت. وهكذا بدأت الحياة دورتها من جديد. ورضيت سارة بذلك كل الرضى.
ثم جاء الطبيب في زيارته الصباحية، يحيط به مساعدوه، ووقف قرب سريرها وسألها قائلا بالانكليزية:
ـ كيف حالك اليوم يا سيدتي؟
ـ بخير. . . انا بخير، شكراً.
فانشرح الطبيب لجوابها وطلب منها ان تريه جراحها، وحين انتهى من النظر اليها تبادل الحديث مع الممرضة، فلم تفهم سارة منه سوى كلمة واحدة «السنيور نايت»، وتمنت لو انها فهمت الحديث كله.
وقال لها الطبيب:
ـ انت محظوظة يا سيدتي لأن جراحك كانت خطرة، وكذلك الهزة التي انتابتك بتأثير الاصطدام. والآن، فلا حاجة الى بقائك في

المستشفى. فمن الافضل ان تعودي الى إستئناف الحياة العادية!
ولاحظت سارة العطف في عيني الطبيب الحزينتين. كان على علم طبعاً، بالحادث وبمصرع تيم، ولكن لم يكن من المفيد ان يعلم ان لا حياة عادية في متناول يدها الآن، لا حياة حقيقية من أي نوع تعود الى ممارستها.
وتابع الطبيب كلامه قائلا:
ـ اخبرتني الممرضة ان اخ زوجك على اتصال بالمستشفى وسيهتم بأمرك في الوقت الحاضر... فاذا كان الأمر كذلك لا أرى أي سبب يحول بينك وبين مغادرة المستشفى غداً. أنا أتمنى لك حظاً سعيداً يا سيدتي!
وربت على كتفها بلطف ومال الى المريضة الاخرى في الغرفة.
وعاد جايسون نايت في ساعة متأخرة من ذلك النهار، فوجد سارة جالسة قرب السرير، فبادرها بالقول بدون مقدمة:
ـ دعينا نستأنف حديث البارحة...
ونظرت سارة اليه بدون ارتعاش هذه المرة. كان يرتدي بنطالاً أزرق اللون وسترة من الكتان.
فقالت له:
ـ لك ما تشاء... ولكن اين وصلنا في حديثنا البارحة؟ أراني نسيت!
ـ كنت تقولين لي، بكلام مؤثر، انك وحيدة في هذا العالم، لا أهل عندك ولا مال. فهل توقعت من كلامك هذا ان يتمزق قلبي حسرة وشفقة عليك؟
ـ كلا، ابداً، لن أحاول المستحيل، لأنك انت اخبرتني بانك لا تشعر بأية شفقة نحوي.
ـ اذن، ماذا كنت تتوقعين؟
فنظرت سارة الى يديها اللتين كانتا على ردائها الابيض الكتان الذي استعارته من المستشفى فسرها ان تجدهما غير مرتجفتين. وقالت

له:

- كنت أتوقع المعاملة ذاتها التي من الطبيعي ان تمنحها لأي فرد من افراد عائلتك، وجد نفسه وحيداً لا يملك شيئاً في بلاد غريبة. ومع ذلك اريدك ان تعلم انني كنت ارفض كل الرفض ان اطلب منك شيئاً لو ان لي احداً سواك يمكن ان الجأ اليه.

ونظر واحدهما الى الآخر ملياً نظرة عدائية، ثم قال لها:

- اين زوج امك؟ لماذا لم تلجأي اليه؟

- لا اعلم اين هو، ولا الى اين كان ذاهباً حين غادر الفندق في اكابولكو. وانا لم اشأ ان استخبر عنه، لاني لا اريد ان اراه ابداً!

فقال جايسون ساخراً:

- لن تريه الا بعد ان تقبضي الغنيمة... اهذا ما تقصدين؟

فتجاهلت سارة ملاحظته وتابعت كلامها قائلة:

- قلت لك لن اراه ابداً... وأنا الآن وحيدة، فاذا استطعت ان اعود الى انكلترا، فسأحاول ان اجد هناك من يعينني، كمديرة مدرستي مثلاً... وكل ما أرجوه منك الآن هو ان تقرضني المال الكافي لعودتي، واعدك ان افيك في اقرب وقت ممكن...

وكان جايسون يراقبها بامعان، فقال لها:

- لا اخفي عنك انك تثيرين اهتمامي بالرغم من كل شيء. انا لا اصدق كلمة واحدة مما تقولينه، ولكن يجب ان اجازف بتلبية طلبك لأن تيم تزوجك، لا اكثر ولا اقل. على اني احذرك انت وزوج امك، من محاولة الاحتيال عليّ وخداعي. ذلك لأن ردي على ذلك سيكون قاسياً لا رحمة فيه.

ووجدت سارة نفسها مأخوذة بنظرته، فلم تستطع ان تبدي حراكاً، ولا ان تجيب بشيء.

فقال لها:

- هل استنتج من كلامك ايضاً ان لا ثياب عندك!

- عندي الثياب التي كنت البسها وقت الحادث.

وكادت عيناها تدمعان، فبادرها بالقول:

- بربك لا تعودي الى البكاء... فهذا يزعجني!

وأرادت ان تصرخ في وجهه قائلة: «وانت أيضاً تزعجني... فانت لست انسانياً من لحم ودم...» ولكنها ضبطت اعصابها ولزمت الصمت. ثم قال لها:

- يبدو ان بامكانك ان تغادري المستشفى غداً... ساجلب لك ما تريدينه واتركه في مكتب الاستعلامات، ثم آتي اليك فيها بعد... والآن ما هو قياس حذاءك... أما سائر الاشياء فاستطيع ان احزر قياسها بنفسي!

وكان في هذه الاثناء يمعن النظر في ردائها العتيق، فقال:

- لا أزال اتذكر جمالك الساحر كما كنت تعرضينه على العيون في اكابولكو!

وفيما هو ينهض واقفاً اخذ يرمقها بنظرات بعثت القشعريرة في جسم سارة.

ثم غادر الغرفة بدون ان يتفوه حتى بكلمة وداع.

وفي اليوم التالي تلقت سارة الثياب الجديدة مع تعليمات جايسون بأن تكون مستعدة لمغادرة المستشفى في الساعة العاشرة بدون تأخير.

وراودتها فكرة التأخير لتريه انها ليست خائفة منه. غير انها امتنعت عن ذلك لانها خشيت ان تزيد في عداوته لها.

وتأوهت وأخذت تتأمل الثياب التي أرسلها اليها. وكم كانت دهشتها عظيمة حين وجدت كل شيء بخلاف ما توقعت.

كانت الثياب فاخرة تفوق الوصف، حتى ان النساء اللواتي يشاركن سارة الغرفة حبسن انفاسهن من شدّة الاعجاب بها. وبعد ان ارتدتها فوجئن بما كانت عليه من الرونق ورهافة الذوق.

ولم يكن في الغرفة سوى المرآة الصغيرة التي لا تزال تحتفظ بها في حقيبة يدها، فاخرجتها كما اخرجت المشط وسائر ادوات الزينة وراحت تمشط شعرها وتتزين بعض الشيء. وما كادت تنتهي حتى

دخلت الممرضة لتعلن لها ان جايسون في انتظارها.

فودعت زميلاتها في الغرفة وتمنت لهن الشفاء العاجل، ثم خرجت وهي غير متشوقة للقاء الشخص الذي كان كل شيء الا لطيفاً معها.

وكان جايسون واقفاً والى جانبه الممرضة التي بدت قصيرة القامة ازاء قامته المديدة الفارعة. وكانت الممرضة تضحك من كلام قاله، وكان هو يبتسم لها. وفوجئت سارة بابتسامته التي لم تشاهدها من قبل، والتي جعلته يبدو بشراً سوياً. ولكنه ما ان رآها حتى زالت الابتسامة من شفتيه، وقال لها:

- هل انت مستعدة يا سارة؟

فارتجفت في داخلها حين سمعته يلفظ اسمها لاول مرة. وخطر لها خاطر، وهو ان الامر يكون غير ما كان عليه بينها وبين جايسون، لو ان اخاه لم يلق مصرعه، ولو انه تفهّم وضعها على حقيقته ورضي بها كصديقة. ولكنها سرعان ما ازالت هذا الخاطر من بالها لاعتقادها ان الرجل لا يمكن ان يكون صديقها ولو بعد مليون سنة.

واجابت على سؤاله قائلة:

- انا على اتم الاستعداد.

والتفتت لتشكر الممرضة على لطفها ومعونتها، وكذلك سائر الممرضات. وودّت لو قدمت اليهن هدية اعتراف بالجميل، ولكن ما العمل والحال كما هي عليه. وحانت منها نظرة فرأت الممرضة تحمل صندوقاً مسطحاً لماعاً عقدت عليه شريطة حمراء من المخمل، فقدمته اليها والى جايسون وهي تبتسم بسرور. ثم تبادلت بعض العبارات مع جايسون بالاسبانية علمت سارة فيما بعد انها كانت تعرب عن اسفها لخسارة تيم وتدعو الى الله ان يمن بالصبر والعزاء.

وقال لها جايسون:

- هنالك سيارة تنتظرنا...

وأمسك ذراعها وسار بها عبر باحة المستشفى، فتساءلت اذا كان يعرف كم يده قوية، وكم يوجعها بقبضته. وخيل اليها وهي تسير الى

جانبه انها معتقل يقاد تحت الحراسة الى مكان رهيب مجهول.

ووصلا الى السيارة المنتظرة، فساعدها على الدخول اليها، ثم جلس الى جانبها واعطى اوامره للسائق الداكن البشرة، ففهمت سارة منها كلمة «المطار» وتساءلت اذا كان ينوي ان يصعدها الى طائرة مسافرة الى انكلترا. فاذا كان الامر كذلك، فلماذا ابتاع لها ذلك الفستان الكتاني الرقيق الذي لا يلائم فصل الشتاء في انكلترا الآن؟

وتطلعت الى وجه الرجل الجامد بقربها، فيما السيارة تشق طريقها وسط الزحام، وقالت له:

ـ اشكرك للثياب التي اشتريتها لي... ولكني لا اعرف كيف يمكنني ان اطير راجعة الى انكلترا بدون ان آخذ معي سترة تقيني الصقيع الذي سأصادفه هناك في هذا الشهر من السنة.

فهز كتفيه وقال باختصار:

ـ سنرى!

ولم تتابع سارة هذا الموضوع، لأنها كانت متأكدة من عدم اهتمامه براحتها، ولكنها املت ان يعطيها بعض المال قبل ركوب الطائرة لتشتري ما تحتاج اليه عند وصولها الى لندن.

كان المطار الذي وصلا اليه كبيراً جداً ومزدحماً. وكانت سارة معتادة على المطارات، ولكنها كانت تترك كل الترتيبات والتدابير لرالف. والآن ايضاً اعتمدت على جايسون في ان يتولى هذا كله، فاخذت تتبعه اينما سار، بدون ان تسأله عن شيء، وهي واثقة انه يريد الخلاص منها اكثر مما كانت تريد الخلاص منه.

وبعد ان انهى المعاملات الاولية، عاد اليها وقال:

ـ علينا الانتظار قليلاً. هل ترغبين في فنجان من القهوة او اي شيء آخر؟

ـ كلا، شكراً.

وسارا الى قاعة الانتظار وطلب منها الجلوس فاعتذرت، لأن

اعصابها كانت متوترة من شدّة اللهفة الى مجيء الوقت الذي فيه تبتعد عن هذا الرجل المخيف لتتنفس بحرية.

ووقف جايسون قربها صامتاً يتأمل المسافرين وهم يسيرون ذهاباً واياباً في القاعة.

وأعلن مكبر الصوت عن حلول موعد اقلاع الطائرة، فقال لها جايسون وهو يقودها بذراعها:

- هيا بنا.

فتوقفت سارة وقالت له:

- ليس معي شيء من المال على الاطلاق...

فاجابها ببرودة:

- لن تحتاجي الى مال. اسرعي، لئلا نتأخر.

وهنا ادركت سارة الحقيقة، وهي انه لم يكن ينوي ارسالها الى انكلترا.

واجتازا الحاجز وسارا نزولا في طريقهما الى الطائرة. وفي وسط الزحام لم يكن لها خيار إلاّ ان تتبعه حيثما ذهب. وفي اي حال، لم يترك ذراعها التي كان يقبض عليها بقوة لا بدّ انها تركت اثراً في جسمها الغض.

وسألته قائلة بصوت رقيق:

- الى اين نحن ذاهبون؟

فلم يسمعها او لعله تجاهل انه سمعها، لانه لم يجب، بل ازداد سرعة في السير. فاستسلمت الى واقع الحال، لانها بدون مال لا تستطيع ان تقاومه. وتساءلت ماذا تكون نصيحة الطبيبة مكتاب لها في مثل تلك الحال.

وأقلعت الطائرة قبل ان يتبادلا كلمة واحدة. وحلت سارة رباط المقعد من حول خصرها وجالت بنظرها في الطائرة، فاذا بها تغص بالمسافرين. وتطلعت الى الرجل الجالس الى جانبها يقرأ بعض الاوراق التي يحملها في حقيبته.

وقالت سارة لجايسون:

- هل لي ان اعرف الى اين انت ذاهب بي؟

فقلب بضع اوراق كانت بين يديه، كما لو انه كان يبحث عن شيء ما، وتجاهل سؤالها. ثم بدا كأنه وجد الشيء الذي يريده، لأنه اعاد ترتيب الاوراق كما يجب ان تكون. وهنا التفت اليها قائلا:

- نعم، من حقك ان تعرفي. نحن ذاهبان الى يوكاتان، الى جزيرة كانكون وهي ليست جزيرة بالمعنى الصحيح. وان كنت لم تسمعي بها او تعرفيها، فهي منتجع جديد انشىء في السنوات الاخيرة. والواقع اني كنت سأسافر اليها في مهمة تجارية، واضطررت الى تأجيل سفري بعد وقوع الحادث.

فقالت له:

- عندما اخذتني الى المطار ظننت انني مسافرة الى انكلترا.

فنظر اليها بقساوة واجاب:

- لم اقل لك شيئاً بخصوص سفرك الى انكلترا!

- ولكنك كنت تعلم ان ذلك هو ما اريده...

فافتعل ابتسامة وقال:

- يبدو ان خطتي بشأنك هي غير ذلك. فأنا عازم على ان ابقيك معي الى ان نعود الى انكلترا معاً. فانا أراك تستعجلين الوصول الى هناك. فلعلك على موعد مع زوج امك!

فقالت له بغضب ظاهر:

- اخبرتك البارحة اني لا أريد ان اراه ابداً.

- لا اصدقك... وأريد ان اعرف الحقيقة!

وبذلت اقصى جهدها لضبط اعصابها كي لا تنهال عليه بالضرب كما فعلت في اكابولكو فما من انسان في حياتها كلها استطاع ان يثير فيها ذلك القدر من الغيظ الشديد.

والقت نظرة على سائر المسافرين وقالت له بصوت خافت مرتجف:

- اظن انه كان عليك ان تخبرني من قبل بما نويت ان تفعله.

- اتريدين مني ان اخبرك حتى تستخدمي سلاحك الذي تجيدين استخدامه، وهو ان تذرفي دموع التماسيح الى ما لا نهاية.

فتأوهت وقالت بعصبية مكبوتة:

- انت احقر رجل على وجه الارض!

فرفع حاجبيه قليلا وقال:

- اصحيح هذا؟ في اي حال، اسمحي لي ان اشغل وقتي الآن بقراءة بعض الاوراق لان الحديث بيننا ليس على المستوى المطلوب من التهذيب.

ومد يده الى حقيبته وتناول رزمة من الاوراق ومجلة مصورة، وقال لها:

- اتريدين ان تتصفحي هذه المجلة؟ بعد قليل سيقدمون لنا بعض القهوة.

فأخذت المجلة منه وأدارت له ظهرها وراحت تنظر من النافذة الى الغيوم البيضاء التي كانت تسير على غير هدى في ذلك الفضاء الشاسع.

٤- هذه دفعة على الحساب

كان الفندق الذي نزل فيه جايسون وسارة، بعد هبوطهما في جزيرة كانكون، مفاجأة لسارة، ذلك لأنه لم يكن ضخماً كالفندق الذي في اكابولكو، بل بناء متواضعاً وسط ما بدا انه مدينة حديثة.

كان مدخل الفندق يحتوي على أثاث من الجلد البني المريح، يتخلله حوض أو حوضان من النخيل، ويعلوه على الجدران مناظر طبيعية عن المكسيك. ولكن أرضه لم تكن مفروشة بالرخام، ولا في حدائقه نوافير ماء، ولا كان يغص بالسواح الرائحين والغادين بثياب الاستحمام. كان هنالك رجل وامرأته فقط، جالسين حول احدى الطاولات يتحدثان وأمامهما كأسان من الشراب.

وقال لها جايسون:

ـ هذه شيودا دو كانكون التي أرادها مصمموها ان تتألف من مساكن ومكاتب لايواء الموظفين الذين يعملون في القطاع السياحي للجزيرة.

ـ هل جئت الى هنا من قبل؟

ـ كلا، ولكنني أعرف انها سوق رائجة لتجارتي، شرط ان تجري الأمور على طبيعتها. ولديّ موعد مع احد الأثرياء الكبار هنا بعد الظهر، أشياء كثيرة تتوقف على هذا اللقاء. وفي أثناء غيابي، عليك ان تتدبري أمرك.

ـ لا تقلق عليّ، ارجوك!

نظر اليها نظرة حادة تنم عن الريبة والشك وسار الى مكتب الاستقبال. وراقبته وهو يتحدث الى المرأة هناك، فحتى ظهره بدا لها ظهر رجل شديد العزيمة، مكتفياً بذاته ويعرف ما يريد، وتمنت ان تكون كذلك.

وعاد اليها يحمل المفاتيح، فصعدا الى الطبقة الثانية، ثم الى غرفة في آخر الممشى. وأجالت سارة نظرها في الغرفة الصغيرة، ذات الأثاث الحديث البسيط، ومنه سرير مزدوج وعليه غطاء من كتان معرق. وبدا لسارة ان الغرفة تحتوي على كل ما يحتاج اليه ساكنها من وسائل الراحة. ومشت عبرها الى النافذة ونظرت الى الشارع تحتها، حيث الحر كان شديداً.

وكان جايسون يقف وراءها فقال ساخراً:

- أخشى ان تكون هذه الغرفة أدنى مستوى مما اعتدت عليه... ولكني أعتقد ان سيدتي ستجد فيها كل الراحة، على الرغم من انها لا تحتوي على مكيف للهواء، بل على مروحة معلقة في السقف.

فابتعدت سارة عن النافذة وأجابت:

- ما أجمل هذه الغرفة!

واستلقت على الفراش وهي تتأوه من شدة التعب، ثم قالت لجايسون:

- أريد ان استسلم الى النوم اذا كنت لا تمانع.

فهز كتفه علامة الموافقة وقال:

- ولكن ألا تريدين ان تتناولي طعام الغداء؟

- كلا، شكراً.

ودفنت رأسها في المخدة وتمنت لو امكنها ان تنام الى الأبد.

وظهر التردد على جايسون وهو ينظر اليها، فقال:

- يصيبك الجفاف اذا لم تتناولي بعض الشراب... فمنذ ان شربت فنجاناً من القهوة على متن الطائرة لم تشربي شيئاً... فدعيني أجلب لك زجاجة من أي شراب تفضلين!

وكانت على وشك الوقوع في نوم عميق حين عاد يحمل زجاجة من الشراب. فسكب منها كوباً وناولها اياه، فتناولته شاكرة بيد ترتجف من النعاس، حتى انها صبت قليلا من الشراب على فستانها الابيض.

فأخذ جايسون الكوب من يدها وطوق عنقها بذراعه وأنهضها من الفراش، وشعرت سارة بيده القوية، فثارت فيها نوازع لم تعرفها من قبل. كان عدوها وكان من المفروض ان تنفر من ملامسته لها، فماذا جرى حتى انها لم تفعل؟ وحين شربت كوب الشراب وأعادها الى الفراش ورفع يده عنها أحست برغبة جامحة في البكاء.

وسبحت عيناها بالدموع حتى غشي بصرها فلم تتبينه وهو يقف قرب سريرها بقامته المديدة. وقالت في نفسها لو انه يعاملني بلطف كم كان كل شيء يهون. وقررت ان تتمسك بالصبر لعله يراها بمنظار آخر.

وتمتمت قائلة:

- جايسون... هل بالامكان أن نصبح صديقين؟

فأجابها متسائلا:

- يا الهي، أي نوع من النساء أنت!

وابتعد عن السرير وعبر الغرفة نحو الباب، ففتحه وأغلقه وراءه بعصبية شديدة.

فحولت سارة وجهها نحو المخدة وهي على يقين انه لن يسامحها ومهما تكن الحجج والبراهين فهو سيظل يضع اللوم عليها في مصرع اخيه. ولذلك رأت ان تستعمل الحكمة في معالجة الأمور الى ان تعود الى انكلترا.

وعلى هذه الخاطرة أسلمت جفنيها للنوم. وحين استفاقت وجدت انها نامت وقتاً طويلا، وأنها استعادت قواها الى حد لم تكن تحلم به، وكانت المروحة لا تزال تدور في السقف، ولكن الغرفة بقيت حارة. ونظرت الى ساعتها، فاذا بها تشير الى ما يقارب

السادسة.

ثم نهضت من الفراش ونظرت الى الفستان الذي لا يزال عليها، فوجدت انه لم يعد نظيفاً، فيجب عليها استبداله اذا كان لجايسون ان يصطحبها معه.

وأزعجها الحر والعرق وشعرت بحاجة الى الاستحمام، ولكن غرفة الحمام لم تكن في الغرفة بل في مكان ما الى جانب الممشى، فاكتفت بالمغسلة ونزعت عنها ثيابها وأخذت ترش الماء على جسمها. ثم عمدت الى تجفيفه وهي جالسة أمام المرآة تصفف شعرها. وفي هذه الأثناء أحست بالجوع وتساءلت كيف تجد بعض الطعام. وعلى قدر معرفتها بمزاج جايسون، فانه سيتركها جائعة الى وقت العشاء، عقاباً لها على رفضها تناول طعام الغداء.

وسرها انها استطاعت، على الأقل، ان تصلح ما خلفته الأيام البائسة الاخيرة من آثار في وجهها، فتجملت وتطيبت وعادت الى عز صباها.

وفيما هي تفعل ذلك لمحت صورة جايسون في المرآة فصاحت:

ـ ماذا، أشبح ما أرى؟

ـ . . . أم شيطان؟

واستدارت سارة لتراه واقفاً ومستنداً الى اطار الباب وعيناه محدقتان اليها، فقالت بغضب وهي تتناول فستانها:

ـ كان عليك ان تدق الباب او تنذرني بطريقة ما حتى يتسنى لي ان ألبس ثيابي.

فتقدم اليها بخطى وئيدة وانتزع الفستان منها قائلا:

ـ لم أتعود أن أدق الباب قبل الدخول الى غرفتي.

فصاحت:

ـ غرفتك؟ اذن، لماذا . . .

وجالت بنظرها في الغرفة، فكان كل ما رأته هو حقائب سفر صغيرة مستندة الى الحائط في احدى الزوايا. كانت هناك منذ

وصولهما، غير انها لم تلاحظ وجودها.

ـ ولماذا أنت هنا في هذه الغرفة؟ ولماذا أنت نائمة في فراشي؟ الجواب هو ان خطأ وقع في مكتب الاستقبال!

وكان اختياره للكلمات يدل على انه كان يقول ذلك من باب الدعاية، غير انه لم يكن يبتسم، بل كان ينظر اليها بطريقة بعثت في عروقها تياراً أشبه ما يكون بالخوف. ولو لم تكن تعرف انه يبغضها لكان خوفها حقيقياً وشديداً.

فقالت له:

ـ لعلك، اذن، تريني أي غرفة هي غرفتي...

ومدت يدها لتتناول منه فستانها، فألقاه على السرير وقال:

ـ لا تحتاجينه بعد الآن. فالبائعة في مكسيكو هي التي اختارته لك لا أنا. فأنا لا اختار لك اللون العذري الأبيض... بل هذا اللون الذي يليق بك اكثر...

ومشى الى حيث التقط علبة كان أدخلها معه، ففتحها ورفع فستاناً حريرياً رقيقاً قرمزي اللون وقال:

ـ أليس هذا الفستان مثيراً؟ ألا يجعل الرجال هنا يحسدونني حين يرونني أتناول الليلة طعام العشاء برفقتك؟ ألا يحاول كل شاب في هذا المكان ان يفوز بك دوني؟ ولكن... ثقي يا ساحرتي الصغيرة اني أنا حاميك والمدافع عنك، شئت ذلك ام أبيت!

وجمدت سارة في مقعدها وقالت:

ـ لا أريد ان أخرج معك... أليس في استطاعتي ان أتناول طعامي هنا؟

فاتكأ على الباب مبتسماً بعض الشيء وأجاب:

ـ أوه، ولكن لا أظنك تحرمينني سعادة مرافقتك لي. أنا متأكد ان لدينا الكثير مما يقوله واحدنا للآخر ونحن كما نحن أقرباء!

وسالت دموع الغضب من عينيها وهي تقول:

ـ هل من الضرورة ان تكون هكذا كما أنت؟ لماذا لا ترسلني الى

انكلترا وتتخلص مني؟ أي سعادة يمكنك ان تنال من هذا الذي تفعله بي؟

ويدا لها ان عينيه الرماديتين الغريبتين بدأتا تظلمان وهو ينظر اليها، وكأنه لا يراها على الاطلاق. ولأول مرة لم تر في وجهه الغضب، بل الكآبة الصارخة العارية.

ومشى جايسون بضع خطوات وهو يقول:

ـ أرى فيك ما يشبه المخدر الذي يخفف الألم!

وهنا أخذت سارة تحس احشاءها ترتجف. وفجأة تذكرت الكلام الذي سمعته يقوله لها في المستشفى: «يا الهي، سأجعلك تدفعين الثمن!» وعادت بها الذاكرة ايضا الى ما جرى بينها وبينه قرب البركة في اكابولكو، كيف وقف بقامته المديدة وقميصه القطني المفتوح عند صدره لتظهر عضلات كتفيه القويتين. وتذكرت ايضا كيف ان ضخامة جسده وجبروته جعلاها تشعر كالحشرة امامه. غير ان الفرق كان شاسعاً بين وجودها معه في ذلك اليوم وبين وجودها معه الآن. ففي ذلك اليوم كان المكان يغص بالسابحين والسابحات، وأما الآن فليس في هذه الغرفة احد بامكانها ان تستخدمه. وحانت منها التفاتة الى السرير المزدوج فاستولى عليها رعب شديد.

وخطر لها انها يجب ان تحتفظ برباطة جأشها، وقبل كل شيء عليها الا تجعله يشعر بخوفها الشديد منه. وعزمت لأول وهلة ان تقاومه بكل قواها وأن ترفض الانقياد اليه مهما كلفها الأمر. وبعد التفكير أدركت ان ذلك لا يجدي، فقوتها الجسدية ليست شيئاً ازاء قوته، فبامكانه ان يفعل بها كما يشاء.

وكان يقف امامها وعيناه تلمعان ببريق الانتظار والتأهب. وخيل اليها انه أشبه بهرة برية تراقب فريستها قبل ان تنقض عليها.

واقترب منها حاملا الفستان الجديد وأمرها ان ترتديه. فحملقت في الفستان الرقيق الصاخب اللون، أدركت انه انما أرادها ان ترتديه لتظهر فيه بمظهر بنات الهوى كما اعتبرها.

فقالت له:
ـ لا أرتدي فستاناً، كهذا، ولن اخرج معك ليحسبني الناس...
وتوقفت عن الكلام، فأكمل الجملة لها قائلا:
ـ بنت هوى. ولماذا لا؟ فحتى الآن لم أتمتع بمعرفتي لك... اما هذا الفستان فيجب ان ترتديه وتخرجي معي لتناول طعام العشاء.
وقبل ان تدرك ماذا نوى ان يفعل، انتزعها عن الكرسي وأوقفها على قدميها وحاول ان يلبسها الفستان عنوة. فاستولى عليها الرعب وأخذت تقاوم بيديها ورجليها، والفستان يلتف حول رأسها ويدخل بعضه في فمها كالكمامة. وفجأة زال الرعب كما ابتدأ، لأن جايسون تمكن، في آخر الأمر، من ادخال رأسها في الفستان وانزاله على امتداد قامتها. وحين توقفت عن المقاومة أفلت يديها فأمسكت بحافة السرير لأنها شعرت بأن عزيمتها تخور ولا تستطيع الوقوف على قدميها.
ومسد جايسون الفستان بيديه، فكان يبطىء عند ملامسة بشرتها الغضة حول عنقها، نزولا الى خصرها، وحولت وجهها عنه وهي تعض على شفتيها في محاولة لضبط أعصابها.
وبعد حين ابتعد عنها وأخذ يتأملها معجباً وقال:
ـ شيء رائع... كانكون في الواقع مكان له مستقبل باهر. ففيها حوانيت تحتوي على أحدث الأزياء التي تجذب السائح...
وتوقف عن الكلام ونظر اليها قائلا:
ـ ماذا بك؟ هل انت مريضة؟
ورفع يده فتراجعت بخوف غريزي وهي تصيح:
ـ بربك دعني وشأني... لا تفعل!
ـ لا افعل ماذا؟
ـ لا توجعني... ارجوك لا توجعني، أنا لا أقدر ان أتحمل اكثر مما تحملت.
ـ اوجعك؟ كيف تقولين ذلك؟ أنا لست غولا، بل لي ككل رجل عادي قوتي الخاصة.

وساد الصمت. وفي هذه الأثناء تمكنت ان ترفع رأسها وتنظر اليه يبتسم ابتسامة تنم عن التهكم والسخرية، ولكنها لحسن الحظ خلت من العنف.

وقال لها متابعاً كلامه:

- لست بحاجة الى الشعور بالندم.

الندم؟ وماذا كان يقصد بهذه الكلمة؟ لكنها لم تشأ ان تسأله لئلا تجعل من نفسها اضحوكة اكثر مما فعلت حتى الآن.

ثم سمعته يقول لها بنبرة صارمة:

- كفى. دعينا نضع حداً لهذه المهزلة... انا جائع. فاكملي ما بدأت به قبل دخولي الغرفة، ثم نخرج لتناول طعام العشاء بعد ان أبدل ثيابي.

ورفع احدى الحقائب ووضعها على السرير، ثم فتحها ونزع قميصه.

وجلست سارة على المقعد امام المرآة وحولت وجهها عنه، حتى لا ترى جسمه البرونزي المفتول العضلات. وأزعجها ان يخفق قلبها كردة فعل امام رجل يغير قميصه وهي التي كانت ترى اجسام الرجال حول برك السباحة أينما كان.

ورفعت أصبع الحمرة الى شفتيها بأنامل مرتجفة وانحنت صوب المرآة، ولما رأت انعكاس صورته، قالت بصوت خافت:

- هل عرفت اين تقع غرفتي؟ فانا اريد ان اذهب اليها في الحال.

فالتقت نظراتها في المرآة وهو يجيبها قائلا:

- كلا. لم افكر في هذا الامر بعد. كنت منشغلاً بامور أخرى طيلة هذا النهار.

ولمحت بوضوح كيف ضاقت عيناه وزمت شفتاه قبل ان يقول لها:

- لماذا تدعين الحياء كأنك لم تري رجلاً من قبل؟

- هذه هي الحقيقة، ولكنك قررت ان لا تصدق كلامي.

فابتسم وقال:
ـ الحق معك... انا لا أصدق ما تدعين.
ويبدا لسارة أنه اخذ يفقد اهتمامه بهذا الموضوع، لانه غيره بقوله:
ـ يا الهي، ما هذا الحر الشديد؟ ولماذا لا أستحم؟ هناك حمّام قريب في الممر، فهل علمت به؟
وتناول منشفة واتجه صوب الباب، وقبل ان يخرج قال لها:
ـ لا شك انك تجدين هذا الفندق على شيء من البدائية. ذلك لانه انشيء في الاكثر لرجال الاعمال لا للسياح، ولكنني لم اكن اتوقع ان اصطحب معي سيدة حين حجزت هذه الغرفة.
وخرج من الغرفة واغلق الباب، تاركاً اياها تفهم من كلامه ما تريد ان تفهم.
وكان ما قدرت ان تفهمه من الفداحة في نظرها الى درجة شعرت فيها بألم شديد يسري في عروقها.
وجلست دونما حراك امام المرآة، تحدّق في عينيها الواسعتين المرتعبتين اللتين انعكس لونهما البنفسجي في الظلال تحتهما. اذن، كان جايسون نايت يعتبرها عن جد فتاة هوى تتقن حياة الترف وفنون العشق. وبما انه فقد اخاه ولامها على فقدانه، فانه عزم على استخدامها عن قصد وعمد للتخفيف عن الالم الذي يشعر به كما قال، فهو سيعاملها بلا مبالاة كمن يتناول مخدراً ليفقده كل حساسية.
ورأت ان تتعمق في التفكير، فخطر لها ان تحاول اقناعه بان ما يتصوره بشأنها غير صحيح تماماً. فهي، عدا كونها ليست من النوع الذي يمكن اعتباره كالمخدر، فتاة بريئة، ساذجة، تجهل تماماً فن الحب والغرام. وخطر لها أيضاً ان من الضرورة ضبط عواطفها الى أقصى حد، ووضع حد للمهزلة على حد تعبيره، كما أن من الضرورة كذلك ان تلزم جانب الهدوء والتعقل، فتبذل جهدها لاقناعه

بتصديقها، وفوق ذلك كله يجب عليها ان لا تنغلب على أمرها برجولته الطاغية كما أوصتها الطبيبة مكتاب.

وبعد ان وضعت بعض الحمرة على خديها كلمسة اخيرة، عاد جايسون الى الغرفة فوجدها تسرح شعرها الذهبي الناعم كالحرير. وسألها قائلا:

- هل انت مستعدة؟

وعندما اجابت بالايجاب قال لها وهو يقبل نحوها:

- ولكنك لم تشدّي زنار فستانك بعد. لا تتحركي. دعيني اشده لك.

ولم تقم بأية ردة فعل حين شعرت بيديه تلامسان ظهرها وعانقها بخفة. وعندما تراجع عنها تلاقت عيناهما في المرآة، كانت نظراتها تائهة شاردة، ونظراته ساخرة.

- هذه دفعة على الحساب!

قال ذلك وابتعد ليدخل ذراعيه في كمي قميصه. وراقبته في المرآة، ثم استدارت نحوه على المقعد وقالت له بصعوبة:

- جايسون، عندي ما يجب ان اخبرك به. انا اعلم رأيك فيّ، ولكن أريدك ان تتأكد من أن رأيك هذا خاطىء من الأساس...

- رأيي فيك؟ أنا لا رأي لي فيك على الاطلاق. فانت لست من النساء اللواتي يحرصن على ان يكون للرجال رأياً فيهن. انظري الى نفسك...

وهجم عليها وادارها بعنف نحو المرآة وردد قائلا:

- انظري الى نفسك، يا فتاتي الضالة المسكينة. لك شعر كشعاع الشمس، وعينان كالبنفسجة الندية، وبشرة كأوراق الورد، وفم...

ونظر الى فمها نظرة جعلته بغنى عن وصفه، ثم تابع كلامه بازدراء ما بعده ازدراء، فقال:

- أي رجل له عينان في رأسه واحساس يستطيع ان يقاوم اغراءك؟

اخي تيم المسكين لم يستطع، فعرض عليك الزواج... أما سورانو، صديق زوج امك، فلم يفعل. الم يكن هذا هو واقع الحال؟ اجيبي...

وكان، وهو يقول هذا الكلام، يغرز يديه في كتفيها فصاحت قائلة:

ـ لا، لا، لم يكن هذا واقع الحال ابداً... انت تختلقه في ذهنك!

ـ لست بحاجة الى ان اختلق شيئاً... رأيت كل ذلك بعيني الاثنتين. رأيتك تذهبين الى قصر سورانو ذلك المساء وانت على أتم الاستعداد لانزال الضربة القاضية، فيما زوج امك يسيل لعابه لمجرد التفكير بأن ذلك الرجل الثري سيصبح صهره!

ـ لم يكن الامر كذلك على الاطلاق... هذا غير صحيح...

وتابع جايسون كلامه وكأنه لم يسمع احتجاجها، فقال:

ـ ولكن كارلوس سورانو لم يقع في الفخ، فهو عصفور داهية لا يمكن ان ينطلي عليه ما كان يدبره له رجل نصاب بمعونة فتاة رائعة الجمال مثلك. فالزواج ليس من غاياته، وما دفعه مقابل التمتع بمحاسنك لم يكن كافياً لايفاء الدين الذي يرزح تحته زوج امك!

وهنا لم تعد سارة تستطيع الاحتمال، فاستجمعت قواها وافلتت منه وعبرت الغرفة الى الجهة الاخرى حيث جعلت السرير حاجزاً بينها وبينه، وصاحت به:

ـ كيف تتجرأ على سرد مثل هذه الاكاذيب؟ أنت لا تعرف شيئاً عني ولا عن رالف... خيالك المريض هو الذي يبتدع مثل هذه الاوهام!

ووقف جايسون يتأملها وشعره الاسود يغطي جانباً من جبينه الاسمر، ثم قال وقد اخذ الغضب منه كل مأخذ:

ـ انا لا اعرف شيئاً؟

فصمدت في وجهه واصرت على القول:

ـ نعم، انت لا تعرف شيئاً عني ولا عن رالف!

فاجاب بوجه متجهم:

- الواقع اني اعرف بعض الاشياء عن رالف. ومنها ان احد اصدقائي وقع في حبائله، منذ سنة او سنتين، حين كنت أنا واياه مقيمين في اليونان. ولكنه نجا باعجوبة من تهمة قتل كان براء منها، وحكم عليه بتهمة الافلاس المزور، والى الآن لم يستطع ان ينهض من وطأة ذلك الحكم. وبعد البحث والتحقيق في هذا الامر تبين لنا ان رالف فرنسيس رجل دجال يستحق الكره واللعنة.

وفكرت سارة في نفسها ان ما يرويه جايسون له طعم الصدق. ذلك انها تذكرت كيف كان رالف دائم الشغل من مكان الى آخر، فجأة بدون سابق انذار. ولكن كيف كان لها ان تشك في امره!

وتابع جايسون كلامه بقساوة:

- في البدء كان رالف يتصرف بمفرده، ثم أضافك الى صندوق خزعبلاته. وكان محظوظاً في ذلك، لما تتحلين به من مؤهلات... وحين رأيتك مع اخي تيم، ماذا تريدنني ان افعل، غير انقاذ اخي من براثنك!

وهنا أخذت شفتا سارة ترتجفان. كيف لها ان تشرح له الامر على حقيقته وتحمله على تصديقها؟ الذي قاله عن رالف ممكناً، واما البقية فكانت افتراء بافتراء. ولما ترجته ان يستمع الى كلامها، راح يذرع الغرفة بخطى واسعة ويقول:

- هناك شيء واحد يمكنك ان تخبريني به، وكل شيء آخر هو خارج عن الموضوع. اخبريني هل كنت مغرمة بأخي تيم حين تزوجته؟

قال ذلك ووضع كفه تحت ذقنها ورفع وجهها الى موازاة وجهه، ثم اضاف قائلا:

- انظري اليّ واحلفي انك كنت مغرمة به. ومن عينيك استطيع ان اعرف اذا كنت تخبرينني الحقيقة ام لا!

ونظرت الى عينيه وحاولت ان تتكلم فخانها الكلام. كيف لا

وهي لم تكن معتادة على الكذب.

ودفعها جايسون عنه، فوقعت على السرير وهي تغطي وجهها بيديها. ثم استدار ومشى نحو النافذة وأخذ يتطلع الى الخارج. وبعد صمت طويل، رجع ووقف امامها وهو يحملق فيها ويقول:

ـ دعينا من هذه المسرحية. ما فات فات. علينا ان نتقبل الماضي ونواجه الواقع كما هو في الحاضر. ولذلك عزمت ان ابقيك تحت رقابتي الى ان ننتهي من حل المسائل الاخرى.

فنفذ كلامه الواقعي الى اعماقها كالسهم، فرفعت رأسها وهي في منتهى البؤس وسألته قائلة:

ـ اية مسائل؟

ـ هذه وتلك. . . هيا بنا. اضعنا كثيراً من الوقت وأنا جائع وأريد أن أتناول طعام العشاء.

فتأوهت وحاولت النهوض وهي تفكر ان الندم لا يوصل الى نتيجة. لا شيء تستطيع ان تعمله يمكن ان يمحو الماضي او يعيد تيم الى الحياة. . . ولا شيء في وسعها ان تقوله لهذا الرجل العنيد يمكن ان يقنعه. انّ تصوره عن الوضع الذي هي فيه ليس التصور الحقيقي.

وفتح الباب وناداها قائلا:

ـ هيا بنا يا سارة!

ومرة أخرى شعرت ان اسمها على شفتيه يجمد الدم في عروقها. فالذي جرى بينهما في تلك الوهلة قلب الامور على نحو عجيب غريب. فلأول مرة في حياتها لمحت بصيصاً من نور الحقيقة وهو ان الكلام القاسي المتبادل بين رجل وامرأة يحتوي على مودة حميمة.

وتناولت حذاءها القرمزي الذي اشتراه لها في مكسيكو، فلبسته ومشت تتبعه الى خارج الغرفة.

وقاد جايسون سارة برفق الى التاكسي وأصعدها ثم جلس الى جانبها. وبعد ان اصدر امره الى السائق اسند ظهره وقال لها:

ـ كيف حالك الآن؟
ـ بخير، شكراً.

قالت ذلك بنبرة جافة وهي تفكر انه الآن، بعد ان خرجا من الفندق، يحاول ان يعاملها كضيفة له على العشاء، لا كعدو لدود. وشعرت، على نحو ما، انها تفضل لو يبقى عدواً. ذلك انه اذا اراد ان يمارس سحر رجولته عليها، فقد ينزع منها سلاح بغضها وكرهها له.

ونظرت اليه وتساءلت ماذا ترى سيحدث بينهما قبل ان ينقضي ذلك الليل؟ الى أي حد كان ينوي ان يستوفي منها ثمن ما فعلته. نعم، ستكون بحاجة الى كل قوة وارادة للوقوف في وجهه.

وتعمدت ان يكون صوتها بارداً حين سألته:

ـ اين سنتناول العشاء؟

فاجابها بشيء من الازدراء:

ـ سنذهب الى الجانب الآخر من الخليج، حيث يوجد في مثل هذا الوقت كل ما في الحياة الليلية الصاخبة من تألق وبريق، وليس عبثاً ان سكان البلاد الاصليين سموا هذا المكان «كانكو» اي «بوتقة الذهب» وانا انما حضرت الى هنا لاجمع بعض الذهب!

فسألته قائلة:

ـ لتبيع سفنك؟

ـ سفني وبعض الادوات. كنت احسب انك تعرفين كل شيء عن نشاطنا التجاري ووضعنا المالي.

ـ كلا، لماذا كان علي ان اعرف ذلك؟

فلم يجب جايسون عن ذلك بل نظر اليها ملياً وقال:

ـ دعينا من هذا الموضوع. انتبهي، فنحن الآن نجتاز الحي السياحي... اليس هذا المكان رائعاً حقاً؟

فأومأت بالايجاب. وبالرغم من كل شيء شعرت ان صحتها اخذت تنشط امام بهاء ذلك المساء، ومشهد الفنادق الفخمة،

والجنائن الغناء، وأشجار النخيل، وما كان يتجلى للعين وراء الشاطىء من زرقة البحر الصافية التي تفوق الوصف. ومع ان حر النهار تراجع مع نور الشمس، إلّا انه ظل يشيع الدفء في الاجواء، حتى ان البعض احتفظ بثوب السباحة، فيما آخرون ارتدوا لباس السهرة وراحوا يتمشون حول المسبح وبين اشجار الحديقة وازهارها.

وقالت سارة مبتسمة:

- انه منتجع رائع!

فانحنى جايسون الى الامام قليلا ووضع يده على خصرها قائلا:

- رائع حقاً.

وشعرت ان الدماء اخذت تجري حارة في عروقها، ولما نظرت اليه تلاقت نظرتاهما.

وكانت كل النصائح التي اسديت اليها في المدرسة حذرتها من القبول بذلك النوع من المغازلة، ولكنها لم تشأ ان ترفض ما قد لا يعدو، في نظرها، ان يكون اشارة صداقة بين رجل وامرأة. اضف الى ذلك انه حين ترك يده حيث وضعها، احست بعجز يتسلل الى مفاصلها، بحيث لو انها ارادت ان تتحرك للابتعاد عنه لما استطاعت.

وقالت له بتردد:

- هل غيرت رأيك فيّ؟

فاجابها وقد رفع احد حاجبيه:

- لنقل انني ربما كنت متسرعاً بعض الشيء في حكمي عليك!

ولم يكن هذا مشجعاً، غير انه كان خالياً من البغض والغضب، وهو اثر اعتبرته سارة تقدماً.

ووقفت السيارة أمام المطعم، فساعدها جايسون على النزول، ثم وضع يده تحت مرفقها وسار بها الى الداخل، وشعرت سارة بالراحة لأول مرة منذ زمن طويل.

وكان الطريق الى داخل المطعم يمر في حديقة متشابكة، نثرت في انحائها الطاولات الصغيرة ومعظمها خال لأن الليل كان في أوله.
وما ان اقتربا من المطعم حتى فاحت منه رائحة قوية شاعت بين الاشجار في الخارج.
فسرّ ذلك سارة، فاستوقفت جايسون لتسأله قائلة:
- ما هذه الرائحة؟
فاجابها بهدوء وهو يغطي يدها بيده:
- بخور، يعتبره السكان الاصليون، مثيراً للأحاسيس...
وتناول يدها ووضعها تحت ذراعه وضغط عليها قليلاً، فشعرت بدفء جسمه من خلال قميصه الحريري الرقيق.
وقال لها:
- هذه الانحاء كانت ادغالاً منذ مدة ليست ببعيدة. فمن يدري كم من الاسرار اكتشفت حين جرى تمدينها؟
فبادرته الى القول:
- دعنا ندخل!
فضحك وقال لها بسخرية:
- لا تجعلي خيالك يشرد بك بعيداً... فأنت في أمان بصحبتي.
فتساءلت هل هي بالفعل في أمان؟ داخل المطعم كان بارداً.
والطاولات منتشرة هنا وهناك في الزوايا. فوقف جايسون يتطلع حواليه معجباً بالمكان.
وحين جاء الخادم وقادهما الى احدى الطاولات قال لها:
- يجب ان اهنىء صديقي رامون مانديز الرجل الذي التقيته اليوم بعد الظهر كما تعلمين، على انجاح هذا المشروع السياحي بادارته الحكيمة. انه هو الذي نصحني ان اتناول طعام العشاء هنا.
وجالت سارة بنظرها في ارجاء المطعم، وهي تمعن النظر في اثاثه الذي كان يحتوي، في جملة ما يحتوي، على اوعية من الفخار الملون بالرسوم والستائر المعرقة بالالوان الحمراء والزرقاء والصفراء.

والخضراء. وكان معلقاً في وسط الجدار البعيد قناع خشبي نحتت فيه عينان مرعبتان واسنان مخيفة تدلى عليها شعر حيوان. وكان في اعلى رأسه وردة اضحكت جايسون فقال لها:

ـ أحب المكسيكيين، فهم يميلون الى الدعابة والهزل للتخفيف من أثر ماضيهم الفظ الشرس.

واقترب الخادم، فقال جايسون لسارة:

ـ اظن ان الكركند هو الطعام الذي اشتهر به هذا المطعم، فما رأيك؟

ـ موافقة.

قالت ذلك وقد عادت اليها شهيتها كما في المدرسة. وكم تمنت لو كانت على علاقة حسنة مع جايسون لتظهر ابتهاجها في حرية تامة.

وأوصى على الطعام بالاسبانية، ثم بدأ الخادم يأتي به تباعاً. وكان جايسون يصف كل نوع منه وهو يأكل بشهية. ولم تكن سارة اقل شهية منه، ولكن اكثر ما ارتاحت اليه هو ان جايسون لم يتحدّث عنها او عن علاقتها الحاضرة معه.

وعند الانتهاء انحنى الى الوراء وقال:

ـ هي التجربة!

ففوجئت بالكلمة وسألت:

ـ ماذا تعني؟

ـ أعنيك أنت بالطبع. فأنت التجربة المجسدة في هذا الثوب القرمزي الذي يبرز كل جمال فيك. ولا تقولي انك لم تلاحظي كم انظار الرجال مشدودة اليك!

ولم تكن لاحظت، فهي منشغلة البال بالرجل الجالس قبالتها الى حد حال بينها وبين الانتباه لأي شيء آخر. اما الآن فبعد ان قال لها ذلك الكلام، جالت بنظرها في المكان فرأت الطاولات كلها عامرة، وفي زاوية ما في الظل قيثارة ترسل انغاماً هادئة. وكان الضوء الخافت الحميم، والموسيقى الناعمة الحالمة، ورائحة البخور التي يرزح تحتها

نسيم المساء الدافىء، يشيع في النفوس رغبة الغزل. فلا عجب، اذن، ان لا يتوقف جايسون لحظة واحدة عن مداعبة سارة بعينيه وصوته.

وأصيبت سارة بالدوار وتساءلت ماذا جرى حتى نتج هذا التغيير بينهما؟ كانت تدرك ان هنالك امراً يجب ان تتنبه له، ولكنها في تلك اللحظة لم تكن معنية الا بالعينين اللتين كانتا تنفذان بنظراتهما الى أعماقها. كان ذلك يهددها بالخطر، ولكنه كان ايضاً يثير فيها البهجة والافتتان.

وأنقذها من الرد على ملاحظاته الاستفزازية نهوضه ليستقبل رجلاً مقبلاً نحو طاولتهما بقامته المديدة وشعره الأشيب المجعد فوق جبينه الواسع الداكن البشرة.

وتصافح الرجلان وهما يتبادلان التحية بالاسبانية. وأخذ الرجل الغريب ينظر الى سارة ثم نظر الى جايسون الذي قال لسارة:

- هذا هو السيد رامون مانديز يا سارة، الذي اخبرتك عنه.

وتناول السيد مانديز يدها التي مدتها اليه ورفعها الى شفتيه قائلا بلباقة:

- كيف حالك يا سيدة نايت؟

فقال جايسون لسارة:

- اعذري رامون على انكليزيته الركيكة، فهو لا يزال مبتدئاً.

وتابع الرجلان حديثهما بالاسبانية، ثم ودع رامون وانصرف، فقال عنه جايسون:

- هو رجل فاضل ومضياف... اصر على ان نمضي الليلة في منزله، لأن الفندق- كما يقول- لا يليق بسيدة راقية مثلك، وذهب الآن ليحضر زوجته للاعتناء بك ريثما أمضي الى الفندق لجلب امتعتنا. وارتأى رامون ان يرينا الاستعراض الراقص هنا قبل مرافقتنا الى منزله.

فابتسمت سارة قائلة:

ـ فكرة حسنة.

واحست بالارتياح لأنها تخلصت من تلك الغرفة في الفندق وخطر مشاركة جايسون لها فيها. فهي لم تكن تعرف على الاطلاق انه سيحجز لها غرفة لتنام فيها بمفردها. اما الآن، فالاقامة عند صديقه رامون تمنحها الأمان، لأن جايسون لا بد ان يكون حريصاً على حسن رأي عميله التجاري فيه.

وعاد السيد ماتديز الى طاولتها ومعه زوجه، وهي امرأة أنيقة ترتدي ثوباً اسود اللون. وكان شعرها مجموعاً على قمة رأسها. فحيّت سارة وصافحتها بلطف وراحت تحدثها بالاسبانية، ولكن زوجها اشار اليها بالتوقف لأن سارة لا تعرف تلك اللغة.

وبعد أن تركهما الرجلان، أخذت السيدة ماتديز بذراع سارة وسارت بها بين الطاولات الى شرفة واسعة باردة يعلوها سقف من الخيزران. وكانت هناك جوقة موسيقية تعزف الحاناً اسبانية حالمة، فيما الساهرون يرقصون او يجلسون حول طاولاتهم. وكان الرجال مع نسائهم يفدون تباعاً من قاعة الطعام. اما جو الشرفة فكان مثيرا للأحاسيس.

وشعرت سارة بالارتياح، يساعدها على ذلك نجاتها من الخطر الذي توقعت انه ينتظرها عند العودة الى الفندق. وحين جاءها الخادم بايماءة من رفيقتها يحمل لها كوباً من الشراب البارد احست وهي تتجرعه انها في منتهى السرور.

وبعد حين عاد الرجلان، ثم ابتدأت حفلة الرقص على المسرح، فاختلط الحابل بالنابل وتزايد التأثير على احاسيس سارة.

وسمعت صوت جايسون يقول لها:

ـ تعالي نرقص!

فانهضها وسار بها الى حلبة الرقص وضمها اليه بشدة وهو يراقصها. وسرها ذلك وبعث البهجة في نفسها. وبغير انتباه تجاوبت معه. فالتصقت به وألقت برأسها على قميصه الحريري الناعم تتمتع

بدفئه وتستمع الى دقات قلبه. ووضع جايسون خده على شعر رأسها، فأغمضت عينيها ونسيت ان الذي يغمرها كان جايسون نايت.

ومال جايسون برأسه الى ان جعل خده على خدها.

وأحست سارة بنشوة لم تعهدها من قبل، ولم تكن على وعي تام حين ألقت يدها حول عنقه. ولكن الموسيقى توقفت فجأة فأفلتها من بين يديه وفيما هو يعود بها الى الطاولة، كانت السيدة مانديز تصفق بيديها اعجاباً وتبتسم ابتسامتها المشرقة المعهودة. واستولى الندم على سارة لما صدر منها نحو جايسون لأنها خشيت ان يكون أخبر مانديز وزوجته بعلاقتها مع تيم وحادثة مصرعه، وها هي مع ذلك تغازل أخاه ولم يمض على ذلك الا وقت قصير.

واتسعت ابتسامة السيدة مانديز وهي تخاطب جايسون بالاسبانية عند رجوعه الى الطاولة، حيث وقف والى جانبه سارة، على نحو يوحي بصلة حب عميق فيما بينهما.

وتطلعت سارة الى جايسون وهمست في أذنه تسأله:

ـ ماذا تقول السيدة؟

ونظر اليها قائلا بلهجته الساخرة المعهودة:

ـ تقول انها مسرورة جداً ان ترى عريسين مثلنا على هذه الحال من الغرام الشديد... ولكن يبدو ان هنالك سوء تفاهم من جهتها!

فاعترتها هزة من الغيظ، ولكنها كبتت شعورها لئلا يلاحظ مانديز وزوجته وقالت بصوت متوتر خافت:

ـ أخبرهم بالحقيقة... يجب ان يفهما...

فقاطعها قائلا:

ـ المسألة معقدة... لك ان تخبريهما انت اذا شئت.

وازدادت سارة غيظاً، حتى ان احساسها بالأمان والاطمئنان وهي بين ذراعيه في حلبة الرقص تلاشى كالحلم.

ونهض رامون، فتحدث الى جايسرن الذي أمسك بذراع سارة

وهو يقول:

ـ هيا بنا يا سيدة نايت. . . لا يمكنك ان تفعلي شيئاً الآن غير اثارة فضيحة لا تؤدي بك الى أية نتيجة مرضية.

فحملقت في وجهه القاسي وشعور الغضب يزيد في خفقان قلبها. وعزمت بينها وبين نفسها على ان تقتص من جايسون يوماً من الأيام.

ولكن ذلك اليوم لم يكن ليأتي قريباً. . . والى أن يأتي كان عليها، على الأقل، ان تقضي الليلة بسلام.

٥- الليل شاهد على الآلام

استمرت سارة في شعورها بأنها تلعب دوراً في مسرحية لا معقولة، او لعلها لم تكن مسرحية على الاطلاق، بل اشبه ما تكون بفيلم من انتاج هوليوود. اذ كان كل شيء فخماً فاخراً، السيارة التي أقلتها، هي وجايسون، عبر الكورنيش الذي اصطفت على احد جانبيه الأشجار، وكذلك منزل مانديز القائم وسط حديقة عامرة بالورود والأزاهير وما الى ذلك مما نشر الشذى على أجنحة النسيم في تلك الليلة الساهرة.

وكان المنزل في الداخل يعكس روعة الخارج، ولكن سارة لم تكن آنذاك قادرة على استيعاب التفاصيل، فغرقت في مقعد وثير دعتها اليه السيدة مانديز وانتظرت ما سيحدث لها بشيء من الاستسلام.

وجاء الخادم بابريق من القهوة على طبق من الفضة ووضعه على طاولة امام السيدة مانديز، فأشارت الى سارة تسألها اذا كانت تفضل القهوة صافية ام ممزوجة بقليل من الحليب. وقبل ان تجيب بأنها تفضل قهوتها صافية نظرت الى جايسون وكان واقفاً مع السيد مانديز بعيداً في طرف الغرفة المستطيلة يبدي اعجابه بلوحة زيتية معلقة على الحائط.

ونادتهما السيدة مانديز، فأقبلا نحو السيدتين. وجلس جايسون بقرب سارة ومدّ ذراعه فوق مسند مقعدها وانحنى نحوها مبتسماً، وحاول مداعبتها فقالت له بهمس:

ـ اكرهك.

فقهقه ضاحكاً بهدوء. وفي هذه الأثناء كانت السيدة مانديز ترمقهما بنظرات تنم عن الاعجاب بعاشقين في مطلع زواجهما السعيد.

وفكرت سارة ان الحالة تبعث على الجنون. فهناك مانديز وزوجته في جهة، وهي في جهة أخرى، وجايسون في الوسط يلعب دور المراوغ والمضلل ما شاء له اللعب، فتمنت لو انها تستطيع ان تفعل شيئاً، كأن تخبر السيدة مانديز بأنها تريد غرفة نوم لها وحدها الليلة. ولكن كيف تفسر لها طلبها هذا، وخاتم الزواج الذهبي يلمع في اصبعها؟

وشعرت بالتعب. وحين ألقت رأسها على المسند الناعم وراءها أحست بأصابع جايسون تمتد وترفع شعرها لمداعبة عنقها، ففوجئت وارتجفت بعنف حتى اندلق بعض القهوة على صحن فنجانها.

فأخذ جايسون الفنجان والصحن من يدها قائلا:

ـ لا تبالي يا حبيبتي!

ومشى الى الطاولة، فيما هرعت السيدة مانديز لتسكب لسارة فنجاناً آخر. وكانت وهي تفعل ذلك تتحدث الى جايسون وترسل نظراتها في اتجاه سارة.

وحمل جايسون فنجان القهوة الى سارة وجلس في مكانه قربها قائلا لها:

ـ مضيفتنا تظن انك تعبة، فربما تريدين ان تذهبي الى فراشك... فوافقتها على ظنها هذا.

ثم أضاف ببراءة ما بعدها براءة:

ـ ستأخذك الى غرفتنا، عندما تنتهي من شرب قهوتك. اما انا فلي حديث قصير مع رامون، قبل ان ألحق بك.

وبدون ان ينظر اليها، نهض وسار الى حيث جلس رامون. وجرعت سارة قهوتها بسرعة، وهالها ان تلاحظ ان يدها كانت

ترتجف. وانتقلت السيدة مانديز من مكانها الى المكان الذي كان جايسون جالساً فيه. وطوقت خصر سارة بذراعها وتمتمت كلاماً رقيقاً، ثم سارت بها الى غرفة واسعة ذات نوافذ مطلة على الشرفة. وكان أثاث الغرفة فاخراً كسائر أثاث المنزل، ولكن الشيء الوحيد الذي استرعى انتباهها هو السرير المزدوج الضخم بغطائه المخملي.

وأمسكتها السيدة مانديز بذراعها وأخذت تطوف بها في ارجاء الغرفة لتريها مواضع الأشياء. ثم فتحت احد الأبواب، فاذا هو باب غرفة للحمام قل مثيلها في الروعة والذوق السليم.

وبعدما خرجت السيدة مانديز من الغرفة وبقيت سارة وحدها، طافت في الغرفة الواسعة وركزت نظرها بالطبع، على الفراش الذي دعته السيدة مانديز «فراش الزوجية» ولكنها لم تكن متزوجة بالرجل الذي سيأتي لمشاركتها فيه بعد حين. ولم تكن تشك ابداً في نواياه، لأنه هو الذي أعلنها وصرح بها. وبدا كل عصب في جسمها يرتجف من التوتر، حتى كادت لا تقوى على التنفس. فخرجت الى الشرفة الضيقة ووقفت تنظر الى الأشجار. كان المنزل محاطاً بالحدائق، ولكنها استطاعت ان ترى من خلال الأغصان أضواء الفندق تشع في الظلام. وكان تحتها في الحديقة بريق نور تعكسه مياه البركة، فأمكنها ان ترى قليلا مما يحيط حولها. وقبضت سارة بأصابعها على قضبان حديد الشرفة وقد خطرت ببالها فكرة جهنمية، وهي ان تقفز الى البركة لتخفف ثقل السقوط، ثم تسرع نحو الطريق وتوقف سيارة اجرة، على امل ان يكون سائقها مواطناً اميركياً يستطيع نجدتها

وتنفست بصعوبة ورفعت احدى قدميها ووضعتها على حاجز الشرفة. وقبل ان تهم بالقفز جاءها صوت جايسون يقول:

ـ هل تحاولين الهرب؟ لو كنت مكانك لما فعلت ذلك. فأنت لو نجوت من السقوط، فانك لن تنجحي من قبضة البوليس، حيث يصعب عليّ النجاح في حملهم على اخلاء سبيلك. فالأفضل لك ان تنتظري قدوم عزيزك رالف لانقاذك...

وكانت تلهث خوفاً حين وضع يده على ذراعها وجذبها الى غرفة النوم، حيث ألقاها على المقعد الوثير قرب النافذة وجلس بعنف الى جانبها. فتراجعت الى زاوية المقعد وهي ترتجف وقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها.

وساد الصمت طويلا، ثم نظر اليها وقال:

ـ كفاك... لا تلعبي معي دور الفتاة المحتشمة... لا وقت لذلك، فنحن في ساعة متأخرة من الليل.

فأجابت بصوت متقطع:

ـ لا... لا أفهم ما تقول!

فقهقه ضاحكاً وقال:

ـ لا تزعمي انك نسيت ما عرضته عليّ في مطلع السهرة، حين كنت مستلقية على الفراش في الفندق وتحدقين الي بعينيك البنفسجيتين وتقولين: جايسون، ألا نستطيع ان نكون صديقين!

وقلّد صوتها بامتعاض وتابع قائلا:

ـ ان نكون صديقين؟ أعرف نوعاً واحداً من الصداقة مع فتاة مثلك.

والتفت نحوها واضعاً ذراعه على كتفيها، ثم دفعها على المقعد وقال غاضباً:

ـ كنت أبغضك كثيراً في البداية، ثم قلت لنفسي فيما بعد: لماذا لا أغتنم الفرصة وآخذ منك كل ما استطيع ان آخذه؟ ومهما أخذت لن يكون الا دفعة زهيدة مما يجب ان تدفعيه مقابل ما أخذته انت مني...

فأجابت بشفتين مرتجفتين:

ـ كل ما أردته هو ان نكون صديقين لا أكثر ولا أقل... فأرجوك يا جايسون...

ـ هيا، انهضي!

وأوقفها على قدميها بعنف، فسقط الثوب حول كاحليها على

الأرض. وعندئذ استجمعت قواها وصاحت به:
- كيف تتجرأ ان تفعل هذا؟ أتحسبني دمية بين يديك؟
- نعم، أنت دمية، ألا توافقين؟
وراح يجيل بنظراته عليها وهي ترتجف حياء ونقمة. وتلفتت حولها لعلها تجد مهرباً، فرأت غرفة الحمّام مفتوحة. وخطرت لها فكرة تمنحها بعض الوقت للتفكير، فقالت:
- دعني استحم. . . ارجوك!
وكم كان حزنها شديداً حين ضحك جايسون قائلا:
- لا اعتراض لي على ذلك. ولكن اعلمي ان ذلك لا يثير رغبتي في قليل او كثير!
فالتقطت ثوبها عن الأرض ورمته به، ولما حاول الاندفاع نحوها كانت وصلت الى غرفة الحمام وأغلقت الباب وراءها.
وفي غرفة الحمام اسندت ظهرها الى الباب وأخذت تلهث بشدة. وتوقعت ان يدفع الباب محاولا الدخول، الا انه لم يفعل. وبعد حين دخلت حوض الاستحمام، ثم فتحت حنفية الماء الى ان كاد يمتلىء فاستلقت فيه وراحت تفكر كيف السبيل الى اقناعه بحقيقة حالها. الا انها لم تستطع التوصل الى نتيجة لاعتقادها ان جايسون نايت لم يكن مستعداً لتصديقها، مهما كانت الحجج والبراهين.
وخرجت من حوض الحمام وأخذت تتأمل وجهها بعينين واسعتين مرتعبتين وهي تفكر ماذا سيحمل الغد اليها من أحداث.
وبعد ان جففت أخذت ترتدي لباسها الداخلي. وكان الثوب الجديد الذي ارتدته تلك الليلة متسخاً، فحارت قليلا في ما تفعل ولم يكن معها سواه. وأخيراً ألقته في الحوض وأخذت تغسله، ثم أخرجته ونشرته على قائمة الحوض وفتحت الباب قليلا ونظرت الى داخل الغرفة.
كان جايسون قد نزع قميصه وبنطاله ولبس رداء حريرياً رقيقاً واستلقى في الفراش مستسلماً للراحة وهو يحدق في السقف. وأدار

رأسه حين سمع باب غرفة الحمام ينفتح وصوت سارة تقول له:
- ارجوك ان تعطيني بقية ملابسي، أعني الثوب الذي جئت به من الفندق.

فنهض متكاسلا واتجه نحوها وقال:
- لا تحتاجين الى ملابس هذه الليلة.
ووقف ينظر اليها ويتمتم قائلا:
- ما هذا الجمال الرائع المثير!

واقترب منها فتراجعت الى غرفة الحمام، ولكنه فتح الباب على مصراعيه بيد، وطوق عنقها باليد الأخرى، وراح يداعب شعرها وهو يردد كلمات الاعجاب بمحاسنها.

وصاحت سارة محاولة التخلص منه:
- دعني... دعني وشأني.

وفجأة أدركت افتقارها الى الخبرة في مثل هذه المواقف، على الرغم من انها قرأت كتباً عديدة في الموضوع وشاهدت أفلاماً كافية، الا ان ذلك كما بدا لها لا يحل تماماً محل الخبرة العملية والممارسة الفعلية.

- يجب ان تصغي الي يا جايسون. ما تطلبه مني لا استطيع ان أعطيك اياه. انت أسأت فهمي... فأنا لا أصلح لك لأني...
فقاطعها قائلا:
- لماذا لا؟ واعلمي انه يستحيل عليك ان تفلتي من قبضتي الآن.

وحملها بين ذراعيه عبر الغرفة وألقاها على السرير الواسع العريض وقال:
- لا تتفوهي الآن بكلمة...

وخيل اليها انها تسمع صوتاً في داخلها يقول: لماذا لا؟ لماذا لا؟ قد أكون مدينة لك بذلك... ربما أنا ملامة على ما جرى لتيم...

وحين خطر ببالها تيم شعرت كأن قنبلة انفجرت في رأسها. وفجأة دفعت عنها جايسون صارخة:

ـ لا. لا. لا أريدك أنت... أريد تيم... تيم يجب ان يكون أول...

وتوقفت عن المقاومة واستسلمت الى البكاء. وتمكنت من ان تمد يدها وتسحب غطاء الفراش الحريري نحوها وتغطي نفسها.

وبعد حين، وقد سيطرت على اعصابها بعض الشيء، تجرأت على الالتفات نحوه فوجدته جالساً الى حافة السرير وظهره اليها ورأسه بين كفيه. كان في حالة استسلام بعث في نفسها الكآبة فهمست قائلة:

ـ أنا آسفة... أرجوك ان تعذرني!

فلم يلتفت اليها وهو يقول:

ـ ربحت. لا بأس، فأنا، على ما يبدو، لست وغداً كما ظننت.

ونهض واقفاً وقال لها:

ـ خذي قسطك من النوم... سأستحم وغداً نسافر الى انكلترا.

وبدون أن يرمقها بنظرة، سار الى غرفة الحمام وأغلق الباب وراءه.

واستلقت سارة وهي ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها. وأحست بأنها لن تستطيع النوم، ولكنها لم تلبث ان احست بارتخاء في مفاصلها وبالنعاس يستولي على جفونها، حتى انها لم تجد القوة الكافية لارتداء ثوب النوم. وهكذا بقيت تحت الغطاء وقد استسلمت في زاوية من الفراش الى نوم عميق.

وطلع الصباح وأشرقت الشمس من خلال الستائر المعلقة على النوافذ المستطيلة. ففتحت سارة عينيها، وعلى الفور تذكرت كل ما جرى لها. فأخلدت الى السكينة التامة، حتى انها أخذت تتنفس بهدوء، ثم أمالت رأسها خلسة لتستطيع ان ترى القسم الآخر من الفراش الواسع العريض، فاذا هو خال ولا أثر لأحد فيه.

ففوجئت بذلك وانتصبت جالسة في مكانها. وكان نسيم الصباح العليل يدخل من النافذة ويحرك الستائر فيبعث في شرايينها شيئاً من

البرودة. وأجالت بنظرها في انحاء الغرفة، فوجدتها خالية. وكان رداء جايسون الليلي ملقى على المقعد الخيزراني وحقيبته المفتوحة تحتل مكاناً على طاولة الزينة في آخر الغرفة. وكان باب الحمّام مفتوحاً على مصراعيه ولا صوت يخرج منه.

وكانت الحقيبة اللماعة التي جلبها جايسون الى المستشفى مع ثيابها الجديدة موضوعة قرب الخزانة. وتنفست سارة بسرعة ونهضت من الفراش والتقطت الحقيبة وجرتها عبر الغرفة الى الحمام، وهناك اغتسلت بسرعة وارتدت لباسها الذي اخرجته من الحقيبة.

ونظرت الى وجهها في المرآة فتعجبت كيف ان لا أثر فيه للضيق الذي عانته في الليلة الفائتة، بل كانت عيناها اكثر صفاء وخداها موردين. وتناولت المشط وأخذت تسرح شعرها وتصففه على الشكل الذي يحبه رالف، لأنه يظهرها كراقصات الباليه. وحين تذكرت ذلك سرى في جسمها تيار من القرف، فأعادت تصفيف شعرها على شكل آخر.

وأخذت شفتاها ترتجفان، اذ تذكرت تيم وكيف أنقذها من رالف. وتمنت لو انه كان على قيد الحياة لتجعله سعيداً وتمنحه كل ما تتوق اليه نفسه.

واسترسلت في استعادة مثل هذه الذكريات، فخيم عليها جو من الحزن والأسى. ولكنها بعد حين تمكنت من العودة بذاكرتها الى الوضع الراهن الذي كانت فيه. فتذكرت انها لا تزال سجينة وهي في المكسيك مع جايسون، ولا أمل لها بالهروب منه. فلم يكن لديها مال، ولا كفاءة للقيام بأية وظيفة، ولا المام بالاسبانية. وتعزت حين تذكرت قول جايسون لها انه سيعود بها الى انكلترا، فلعله يصدق في ما قال. فلا بد من نهاية للنفق المظلم مهما امتد وطال.

وعزمت على ان تنسى ما جرى لها الليلة الفائتة. واقنعت نفسها، على نحو ما، ان ذلك لن يتكرر. فجايسون لا بد ان يتركها وشأنها من غير ان يحاول ان يثأر منها مرة أخرى.

وأدارت ظهرها الى المرآة بحركة عصبية وهي تمني النفس بأنها لا بد ان تنسى. فهي لن تدع نفسها تقع في غرام جايسون نايت مهما كلفها الأمر.

وسمعت باب غرفة النوم ينفتح وصوته يناديها باسمها. ثم انفتح باب الحمام ايضا، واذا جايسون بقامته الفارعة يقول بلهفة ظاهرة:

ـ انت هنا!

فما ان رأته سارة حتى اجتاحتها موجة من القلق والخوف، ولكنها تمالكت نفسها سريعاً وقالت له:

ـ صباح الخير.

ومشت خطوة الى الامام باتجاه غرفة النوم. غير ان جايسون لم يحد عن الباب، بل وقف في مكانه يبحث بنظراته عن وجهها، ثم قال:

ـ أراك غيرت شكل تصفيف شعرك. هذا يجعلك تظهرين أصغر سناً... اخبريني كم لك من العمر الآن؟

فأجابته ببرودة أعصاب:

ـ ثماني عشرة سنة.

وظنت لوهلة انها لمحت امارات الدهشة على وجهه، ولكنها توهمت. ذلك لأنه سرعان ما هز كتفيه وتراجع الى الوراء ليخلي لها طريق الخروج من الباب.

وهنا دخل الخادم يحمل طبقاً عليه الفطور، فوضعه على الطاولة امام المقعد الخيزراني، ثم ابتسم لجايسون وهو واقف ينتظر أوامره. فصرفه مع الشكر وقال لسارة:

ـ هذا طعام الفطور، وعلينا ان لا نأكل منه كثيراً لأن رامون دعانا للرجوع بطائرته الى مدينة مكسيكو، حيث تقلنا سيارته الخصوصية الى المطار...

وجلست سارة على المقعد مبتعدة عنه ما أمكن، فلم يظهر عليه انه أعار ذلك أية اهمية. وأخذ يعدد لها ألوان الطعام ويقرب بعضها الى امامها، فكان في ذلك كأنه يعاملها كأخت له في سن المراهقة.

وارتاحت سارة للأمر، وتمنت لو انه يعتمد هذه المعاملة طيلة وجودها معه. وحرصت في هذه الأثناء ان لا تنظر اليه ولا تطيل الحديث معه.

وبعد الانتهاء من تناول طعام الفطور لم يطل بهما المقام في منزل مانديز. وكانت السيدة مانديز تشكو من الصداع فلزمت فراشها فتولى السيد مانديز وحده مهمة توديعهما وتقبل كلمات الشكر التي أغدقها عليه جايسون لحسن ضيافته. وابتسمت سارة في وجهه وحيته مودعة بالاسبانية، فأظهر اعجابه بأن قبلها على الوجنتين وهو يردد عبارات المديح. وفيما السيارة تبتعد بهما، قالت سارة:

ـ انه رجل لطيف المعشر... ماذا قال لك عني؟

فنظر اليها وأجاب:

ـ قال انك فتاة رائعة الجمال ورفيعة التهذيب، واني محظوظ بزواجي منك... فهل هذا الكلام يسرك؟

فأجابت:

ـ كل ما خطر ببالي في شانه، هو انه رجل لطيف المعشر!

وآلمها ان يبغضها جايسون الى حد دفعه الى ان يجعل من ابسط ملاحظة تبديها سلاحاً يشهره ضدها.

وحول وجهه عنها بعدم اكتراث، فيما السيارة الفخمة تشق طريقها وسط الزحام نحو الجسر الذي اقيم فوق الخليج. ثم حدّث نفسه قائلاً بصوت مسموع:

ـ كانت زيارة ناجحة، ولو حالفني الحظ أكثر قليلا لكانت النتائج سعيدة جداً.

وكانت «النتائج» التي عناها هي، بالطبع، نتائج تجارية. ولكن سارة التي سمعت كلامه لم تتمالك من التفكير انها كانت هي ايضا جزءاً من تلك «النتائج» وخطر لها ان تتفحص وجهه، فنظرت اليه بامعان، فوجدت انه غارق في التأمل والتفكير. ثم أغمضت عينيها وهي تشعر بنشوة تسري في مفاصلها عندما تذكرت ان ذلك الوجه

الذي بدا لها صلباً قاسياً كان في الليلة الفائتة ينضح رقة وعذوبة وهو يلتصق بوجهها. وخطر لها فجأة، ويلمح البرق، انها تتمنى ان تعيش تلك اللحظة مرة أخرى بالفعل لا بمجرد الذكرى. نعم، تمنت ذلك وتاقت الى ان يأخذها بين ذراعيه ويضمها اليه.

ولما فتحت عينيها فوجئت به ينظر اليها، فصعد الاحمرار الى خديها وأخذت ترتجف، على الرغم من انه لم يمسها على الاطلاق.

وقال لها بعصبية ظاهرة:

- استريحي يا سارة وهدئي من روعك، والا ظن من يرانا اني حيوان مفترس... فماذا يرعبك فيّ؟ وما حدث الليلة الفائتة كان سوء تفاهم! اذ اعتقدت انك وعدتني بالاستسلام اليّ طوعاً...

فاضطربت وقالت:

- انا لم أعدك بشيء، ولست مدينة لك بشيء!

فأجابها قائلا:

- هذا رأيك انت.

وساد الصمت، فيما السيارة تقترب من المطار. ورأت سارة ان للسيارة، لحسن الحظ، حاجزاً يفصلها عن السائق، فلا يستطيع ان يسمع ما كان يدور بينهما من حديث.

وتابع جايسون كلامه قائلا:

- وفي أي حال، ما دمت عازماً على ان أبقيك تحت رقابتي الى ان ينجلي الموقف، فالأفضل ان نتفق على خطة نسير عليها في سبيل الحصول على نوع من التفاهم!

فصاحت بمرارة:

- التفاهم؟ لم تبدأ حتى الآن بفهم أي شيء عني!

وتجاهل ملاحظتها وتابع قائلا:

- قد يكون علينا ان نمضي يوماً او يومين في مدينة مكسيكو، قبل ان نستقل الطائرة الى انكلترا. واذا نزلنا هناك في فندق، فثقي انك ستنامين في غرفة بمفردك... فأنا لن أضع يدي عليك مرة أخرى!

وتوقف عن الكلام قليلا، ثم أضاف قائلا:

ـ عليك ان تتحملي رفقتي ليوم او يومين آخرين. . . واعلمي اني لا أطيق رفقتك مثلما انت لا تطيقين رفقتي. ولكن علينا ان نتصرف كما لو كنا الأقارب الذين قضت عليهم الظروف ان يتلاقوا مؤقتاً لمواجهة أزمة حلّت بهم. بعضهم يكره البعض الآخر، غير ان المصلحة المتبادلة اجبرتهم على عقد هدنة فيما بينهم. وما داموا معاً، فهم يتعاملون بتهذيب، متجنبين الخوض في المسائل الشخصية. وحين لا يكون احد حاضراً معهم، يقللون الكلام لأن ذلك خير لهم.

واحنى رأسه وتطلع اليها قائلا:

ـ ما رأيك بهذه الخطة؟

فأجابت:

ـ هذا ما كنت أتوقعه منك.

ـ وماذا تتوقعين مني غير ذلك؟

ـ لا شيء!

فابتسم جايسون بمرارة وقال:

ـ اذن اتفقنا. ولكن عليّ ان أضيف الى ذلك انك في مدينة مكسيكو تستطيعين ان تشتري كل ما تحتاجين اليه من الملابس. وسأرافقك عند شرائها لأنني لا أريد ان أضع في يدك مالا، ولا ان أدعك تغيبين عن نظري. واذا كان علينا ان نقضي ليلة في الفندق، فسيكون لك غرفة خاصة بك، ولكن تحت رقابتي. وحين نصل الى انكلترا سأسلمك الى عمتي فيرا بانتظار حضور زوج امك المحترم!

فقالت له سارة:

ـ لن يحضر. أخبرتك ان لا علم له بما جرى، ولا بمكان وجودي، أو بأي شيء آخر عني.

فقال بسخرية:

ـ أصحيح هذا؟ سنرى. وكم ستكون دهشتي شديدة اذا لم يحضر

قريباً، وحين يحضر أريد ان اعرف تماما ماذا ينوي ان يفعل هو وأنت! وأظن انه سيحاول الحصول على حصتك من الارث دفعة واحدة بشيء من التسوية. ذلك لأني لا أعتقد انه من النوع الذي يشن حرباً قانونية طويلة الأمد في سبيل تحصيل آخر درهم من حصة تيم في الشركة...

فتأوهت سارة بعمق وعزمت بينها وبين نفسها ان لا تتورط في جدل مالي لا تفهم فيه شيئاً. فهي لا تريد درهماً من ميراث تيم، وستبذل كل جهد لتمنع رالف من الحصول هو ايضا على شيء منه، فيما اذا عاد الى اثبات وجوده في حياتها مرة أخرى.

فقالت لجايسون:

- عمتك، ماذا تعرف عن الموضوع؟

- لا تعرف الا القليل.

- مثلا؟

- هي لا تعرف سوى انك تزوجت أخي يوم وقع حادث اصطدام القطار، واني سأصطحبك معي حين عودتي.

وتلاقت نظراتهما عبر مقعد السيارة. وتساءلت سارة كيف ان هاتين العينين الجذابتين النافذتين لم تستطيعا حتى الآن ان تريا الحقيقة.

وقالت له:

- هل هذا كل ما أخبرت عمتك عنه؟ ولا شيء آخر.

- لا شيء آخر. فصحتها ليست على ما يرام، ومن الخير ان لا نثقل عليها بالتفاصيل المزعجة... وفي أية حال، ستكون لنفسها رأياً فيك، وسيكون، نظراً الى سحرك ودلالك، في صالحك. وبعد الانتهاء من تسوية الأمور، ستعودين ولا شك الى نشاطك المعتاد، وهو البحث عن فريسة جديدة!

وضاق صدر سارة من هذا الكلام، فأخذت نفساً طويلا وقالت:

- أظن انك أقبح رجل لقيته في حياتي.

فاجاب وهو يستلقي الى الوراء ويغمض عينيه:
ـ حسناً. قولي ما تشائين.

٦ـ خائفة من شيء ما

وقال جايسون لسارة:

ـ القطار سيترك المحطة بعد عشرين دقيقة.

كان ذلك في محطة واترلو في لندن. ثم تابع كلامه قائلا:

ـ عندي وقت كاف لاتكلم مع عمتي فيرا بالتلفون فأخبرها بأننا في الطريق اليها.

وسار الى اقرب جهاز للتلفون وقال لها:

ـ انتظري هنا يا سارة. لن أغيب اكثر من دقيقة او دقيقتين.

وانتظرت سارة قرب الحقائب. ففي اليومين الاخيرين تبعت جايسون باذعان، من كانكون الى مدينة مكسيكو، ومن مدينة مكسيكو الى ميامي الى مطار هيثرو، ومن مطار هيثرو الى محطة واترلو. وفي هذه الاثناء تركت لجايسون تدبير كل الامور، واطاعته في كل ما طلب منها، وشكرته كل الشكر حين وفى بوعوده فحجز لها غرفة في الفنادق التي نزلا بها. وكانت لا تكلمه الا حين يكلمها، وفي سائر الاحيان كانت تطالع المجلات التي يشتريها لها.

وبين الحين والآخر كانت تراقبه وهو يسترق النظر اليها مستغرباً كيف كان باستطاعتها ان تلعب ذلك الدور المزيف طوال تلك المدة بدون ان يبدر منها ما يفضحها على حقيقتها.

ولكن سارة لم تكن تلعب ذلك الدور بافتعال، بل كان من ضمن الخطة التي اتفقا عليها. فاذا كان جايسون يستطيع ان يلعب دوراً كما

في مسرحية، فهي أيضاً تستطيع ان تفعل ذلك. وكان نجاح الخطة يتوقف على اصطحاب جايسون لها عند عودته الى «دروسه» وبما ان الامر كان كذلك، فانها عزمت على جعل الرحلة هنيئة قدر الامكان.

وقالت لنفسها انها حين تسيطر على مجرى حياتها مرة ثانية فيما بعد، فسيتبدل كل شيء وسيفاجأ جايسون بهذا التبديل.

ولم يكن الازدحام بدأ بعد، وهي في مكانها تنتظر عودة جايسون. وكانت ترتدي بنطالاً أزرق اللون اشتراه لها جايسون في مدينة مكسيكو، فجعلها تبدو صبية ممشوقة القوام. وهذا، بالاضافة الى شعرها الذهبي المعقود حول وجهها الصغير المشرق، جذب اليها الانظار بدون ان تدري. ذلك لأنها كانت تجيل بنظراتها في انحاء المحطة ظاهرياً، ولكنها في الواقع كانت تراقب الرجل الذي يرتدي بزة رمادية ويقف في غرفة التلفون العمومية ممسكاً بيده السماعة المرفوعة الى اذنه. اما هو فكان يختلس النظر اليها بين الفينة والأخرى ليتأكد من انها لا تزال في مكانها.

كان بالفعل عازماً على ان لا يدعها تهرب منه. ومع انه وفى بوعوده فسمح لها بأن تنام وحدها في غرفة مستقلة، إلّا انه كان يدخل الغرفة في الصباح ويقول لها بعد التحية:

ـ بين غرفتي وغرفتك باب، فبامكانك ان تعبري غرفتي حينما نخرج الى مكان ما.

كان لا يخفي عجبه من سهولة انقيادها اليه فجأة، ولكنه خشي ان يكون ذلك خدعة تخبىء وراءها حيلة ما للافلات من قبضته.

وفي احدى المرات أجابته على تساؤله بهذا الغموض فقالت:

ـ لماذا أحاول الهرب؟ اليس من مصلحتي ان ابقى معك الى ان احصل على ما سميتها «الغنيمة»؟ فلماذا اعترض على عبور غرفتك عندما أريد ان اخرج؟

ثم اضافت بجرأة لم تكن تعرف انها تملكها:

ـ ما دام هذا كل ما هو منتظر مني!

والقت نظرة عبر الباب الى الفراش الذي في غرفتها.

فاستفزه هذا الكلام الى حد حمله على نزع قناع اللامبالاة الذي كان يلبسه وقال غاضباً:

- لا تقلقي... فأنا لن أقع في ذلك الفخ ثانية...

فصدّقت كلامه، ولكنها مع ذلك لم تطبق جفونها تلك الليلة، بل بقيت مستيقظة تراقب الانوار تنعكس على سقف الغرفة من السيارات التي تتوقف عن عبور الطريق الذي يقع تحت النافذة. ونحو الثانية صباحاً، حين لم تعد تطيق الاضطجاع في فراشها، نهضت واخذت تذرع الغرفة بخطوات حائرة.

وتمنت لو أنه كان بوسعها ان تصلح الحال بينها وبينه، فلا يعود ينظر اليها بامتعاض ونقمة. وكانت على يقين بأنه لم يكن نائماً هو أيضاً، فلو كانت تملك الجرأة الكافية لدخلت الى غرفته وحملته على الاصغاء اليها لشرح دورها في الاحداث الفاجعة التي جرت في الاسبوع الفائت.

وأخذ قلبها يخفق بسرعة حين وضعت يدها على قبضة باب الغرفة، وسمعت صوتاً خافتاً في الداخل وصرير حديد السرير. فتخيلته مضطجعاً هناك وشعره الأسود منتشر على المخدة، وجسمه ممدد تحت الغطاء.

وفجأة نزلت عليها الحقيقة كضربة قاسمة، وهي ان رغبتها في التحدث اليه لشرح موقفها وتفسيره لم تكن سوى خدعة. فهي في الواقع أرادت ان تكون معه، وأن تلتصق به، وان تشعر بيديه تضمانها.

واستولى عليها شعور بالتعاسة، فتراجعت بخطى متعثرة الى فراشها وسترت رأسها بالغطاء.

وفي الصباح تذكرت ما حدث لها في منتصف الليل، فسرها ذلك لأنها كلما اكتشفت ما في دخيلة نفسها، قوي سلاحها ضدّ ما يعتريها من ضعف.

وانهى جايسون مكالمته التلفونية وقفل راجعاً اليها. وفكرت وهي تتأمل قامته الفارعة الممشوقة، انه رجل خطر ومن الخير لها ان تتجنب التورط في معاملته أو الوقوع في غرامه. ولاحت على ثغرها ابتسامة سرعان ما تلاشت حين وصل اليها وقال:

- دبّرت كل شيء. . . فيرا سترسل من يستقبلنا في ويرهام فهي لا تقود السيارة بنفسها، ولذلك ستستأجر تاكسي. هيا بنا. ها هو القطار.

وحمل الحقائب واتجه معها نحو عربات الدرجة الاولى في القطار. وتوقف امام عربة وقال:

- هذه لا بأس بها.

وفتح الباب وانتظرها حتى دخلت، فتبعها واخذ يبحث عن مكان مناسب.

وتلفتت حولها وتذكرت على حين غرة تلك الرحلة التي قامت بها مع تيم في القطار، فجمد الدم في عروقها. وشعرت بالدوار، فامسكت بذراع جايسون لئلا تقع على الأرض.

فسألها:

- ما بك؟

واعادتها نبرته الحازمة الى عالم الواقع، فاجابت:

- لا شيء. . . ظننت أن قدمي علقت بشيء ما.

- ادخلي اذن.

وللحظة ظنت أنها لا تستطيع الدخول، وانها على وشك ان تتصرّف كمن فقد رشده.

وكان جايسون ينتظر حائراً. واخيراً تمالكت نفسها ودخلت العربة وارتمت على مقعد وهي تكاد تغيب عن الوعي.

ووضع جايسون الحقائب على الرف وجلس قبالتها. وفتح صفحات احدى الصحف التي اشتراها في المحطة وبدأ يطالعها. وسر سارة انه تجاهلها، لأن ذلك يمنحها الوقت للملمة افكارها

المبعثرة.

كان شهر اذار (مارس) عادة شهراً لا يزدحم فيه المسافرون، ولذلك فحين تحرك القطار لم يكن دخل أحد لمشاركتها الجلوس في العربة. والقت سارة رأسها الى الوراء واغمضت عينيها، على أمل ان تعود اليها رباطة جأشها بعد قليل. وتذكرت انها قرأت في مكان ما ان من يشعر بفقدان وعيه عليه ان يتنفس ببطء وعمق. وحاولت ان تفعل كذلك، إلاّ ان حالتها ازدادت سوءاً.

ففتحت عينيها ورأت ضواحي لندن من خلال النافذة، تماماً كما كانت ضواحي مكسيكو تبدو من خلال نافذة ذلك القطار الذي كانت تستقله مع تيم. وكما كان ذلك القطار يسرع شيئاً فشيئاً الى ان اصطدم بقطار قادم. فكذلك كان هذا القطار. وجمد الدم في عروق سارة، واحست بطعم الموت في فمها.

ووضع جايسون الصحيفة جانباً ونظر نحوها وقال:

- هل لك بكوب من الشاي؟ سأذهب وأرى اذا كانوا يقدمون الشاي هنا.

وهم بالنهوض على قدميه، تماماً كما فعل تيم في تلك المرة، فصاحت قائلة:

- لا يا جايسون، ارجوك لا تتركني وحدي!

ولم تدرك انها نهضت وارتمت بين ذراعيه، في محاولة لارجاعه الى مقعده وكذلك لم يتح لها ان ترى امارات الدهشة على وجهه، وكيف تحولت الى امارات اخرى مختلفة. كل ما ادركته بصعوبة هو انها كانت تتمسك به بعنف، وان ذراعيه كانتا تطوقانها وتشدانها اليه وهو يهدىء من روعها بلطف، كما لو كانت في الثانية لا في الثامنة عشرة ويقول لها:

- سارة، ما بك؟ أنت الآن في أمان...

وبعد حين هدأ روعها وتوقف جسمها عن الارتجاف، ولكنها احست بانها ترزح تحت ثقل التعب والعياء. وكان وجهها غارقاً بين

كتفيه فسرى الى قلبها شيء من الدفء. يا له من شعور هنيء بالامان ان تكون هكذا ملتصقة به.

ولم تحاول ان تبدي حراكاً، كما ان جايسون لم يكن في عجلة من امره. وكان القطار يشق طريقه مسرعاً، والحقول والاشجار تمر بالنافذة مرور البرق. ولم تعد سارة خائفة، بل راغبة في أن تبقى هكذا بين ذراعيه، تصغي الى خفقات قلبه، وتتشوق الى النظر اليه لترى اذا كانت امارات الحنان ظاهرة على وجهه. ولكنها لم تفعل، مخافة ان يقرأ الحقيقة في عينيها، وهي انها كانت تتوق اليه.

وبجهد جهيد تمكنت من التراجع عنه والجلوس في مكانها وهي ترفع خصلات شعرها المتدلية على وجهها. ثم قالت له:

ـ انا آسفة لاني تصرفت هكذا ببلاهة... ربما ظننت اني...

فقاطعها قائلا:

ـ انك توجهين اليّ دعوة ثانية... لا، ليس هذه المرة. فأنا استطيع ان اتعرف الى الخوف حين أراه. وأنت كنت خائفة، لا بل مذعورة... هل لانك في قطار؟

فاشارت مجيبة بالايجاب، فقال ببساطة وهو ينظر الى فمها:

ـ لا عجب في ذلك... أرى دماً على شفتيك.

وأخرج المنديل من جيبه وانحنى نحوها يمسح الدم.

فقالت وهي ترتعش:

ـ شكراً. اخشى ان يكون بعض الدم نزف على ثيابك.

ونظر الى سترته حيث كان رأسها ملقى، ومسح بقعة صغيرة من الدم عالقة هناك وقال:

ـ لا شيء يذكر... المهم ان تتحسن حالك.

فاجابت قائلة:

ـ انا بخير الآن. شكراً لك.

وكانت فعلاً بخير. ذلك لأنه اراها قدرته على ان يكون حساساً ومتفهماً، لا عنيفاً بالطبع والتطبع، فبعث في نفسها الامل ان تتمكن

يوماً من الايام بأن تجعله يصغي اليها ويصدق كلامها.
وقال لها:
- حسناً، وماذا عن ذلك الكوب من الشاي؟ لك ان تذهبي معي لاحضاره اذا كنت لا تريدين ان تبقي هنا وحدك ريثما اعود.
قال ذلك وهو يفتح باب العربة ويفسح لها مجال الخروج قبله فقالت له وهي تمر من امامه:
- شكراً يا جايسون على شهامتك ومروءتك.
فاجابها ببرودة:
- لا اريد ان اعود الى البيت بعد طول غياب، وبرفقتي فتاة مذعورة تكاد تفقد رشدها... ألا ترين ذلك؟
ومشت في ممر القطار أمامه وهي تتمايل يميناً ويساراً. وأحزنها ان لا شيء تغير فيه، وان املها بذلك، على ما بدا لها، ضعف جداً.
وحين عادا من مطعم القطار، تابعا رحلتهما بدون ان يحدث شيء يذكر فاستأنف جايسون مطالعة الصحف، وكذلك فعلت سارة.
ازاح جايسون الصحيفة من امام وجهه وسألها عن حالها. فاجابته شاكرة انها بخير.
وكانت سارة تغط في نومها حيناً وتستفيق حيناً آخر، الى ان اقترب القطار من المكان الذي كانا يقصدانه فتعرفت الى بعض المواضع التي علقت بذاكرتها منذ أيام دراستها في المعهد هناك. وكانت تبدي سرورها بذلك، وبصوت عال، مما حمل جايسون على التسلؤ ل ولكن بشيء من اللامبالاة.
ولم تكن سارة تنتظر منه ان يبالي بأي شيء يثير اهتمامها. ولماذا كان عليه ان يبالي فلو كان تيم هو الذي يرافقها عائداً الى بيت اهله، لكان سألها الف سؤال وسؤال عن حياتها الدراسية.
واغرورقت عيناها بالدموع، فيما هذه الافكار تجول في خاطرها. فتيم لم يعد في الوجود، ولم يبق احد لتشاركه ذكرياتها الحميمة. جايسون يبغضها، وأغلب الظن ان عمته تشاركه القاء اللوم عليها

في المأساة التي وقعت.

ووصل القطار الى محطة بيرهام فمشت سارة الى جانب جايسون على الرصيف. كانا أول النازلين من القطار، وفيما هما يتجهان نحو مدخل المحطة ومنها الى الباحة، اذا بفتاة طويلة القامة تلبس بنطالاً اسود ومعطفاً من الفراء الثمين تخرج من وراء مقود احدى السيارات وتهجم راكضة نحوهما وهي تصيح:

- جايسون... جايسون نايت! هذا لا يصدق. كنتُ أفكر فيك منذ لحظة وانا هنا انتظر قدوم اوليفر هل شاهدته في القطار؟

كانت عيناها زرقاوين مستديرتين تلمعان كالزجاج وهي تحدق الى جايسون. ثم لم تلبثا ان رقتا وكادتا تذوبان عذوبة واسى. فالقت يديها الاثنتين على ساعديه وقبلته وقالت:

- آه، آه يا جايسون! كم أنا تعيسة لوفاة تيم. لم أصدق الخبر حين حمله اليّ اوليفر بعدما سمعه أول البارحة. وطار النعاس من جفني طول الليلة الفائتة من شدة قلقي عليك. قالت هذا الكلام وحملقت في سارة، راسمة حولها علامة سؤال. فاجابها جايسون قائلاً:

- شكراً لك يا ديانا. لا داعي للقلق علي لأن سارة، زوجة تيم، كانت تعتني بي!

واشار الى سارة، ثم خاطبها قائلاً:

- اعرفك بديانا فوريس...

وفتحت ديانا فمها بدهشة عظيمة، وخانها الكلام لحظة ثم قالت:

- لا علم لي بذلك!

والتفتت الى سارة معزية. فتمتمت سارة ببعض الكلمات ووقفت على حدة وهي تفكر أنها عجزت ان تدرك، طوال المدة التي قضتها مع جايسون، ان له حياته الخاصة في انكلترا. وهذه الحياة تتضمن أهلاً واصدقاء وعملاً، ولا صلة لها بها على الاطلاق، ما عدا انه كان عازماً على اخراجها منها في أسرع ما يمكن.

وكان اوليفر آخر من نزل من القطار. وحاول جايسون ان يودع ديانا، ولكنها أمسكته بذراعه واوقفته قائلة:

- انتظر وتحدّث قليلاً الى اوليفر.

واسرعت نحو اوليفر وهو يناول بطاقة سفره الى المسؤول هناك، واخذت تحدثه بسرعة.

وقال جايسون لسارة بصوت خافت:

- هذه المرأة كالهم على القلب.

واقترب اوليفر وديانا، فانطلقت كلمات التعازي والتعارف. وشعرت سارة بالارتياح حين جاء وقت الوداع. وقالت ديانا لجايسون.

- تعال لزيارتنا بأسرع وقت... تعال وتناول طعام العشاء معنا، بعد أن تنتهي من تدبير امورك.

ومد اوليفر يده الى سارة مصافحاً وقال:

- وأنت، أرجوك ان تأتي لزيارتنا. اختي وانا مسرورين جداً لاستقبالك في بيتنا الجديد.

فشكرته على دعوته وهي ترى انه اكثر صدقاً وعفوية من اخته ديانا.

وبعد ان ذهبا وجد جايسون السيارة التي ارسلتها عمته لنقلهما فطلب من سارة بعصبية ظاهرة الصعود اليها.

وصمت جايسون والسيارة تشق طريقها عبر البلدة نحو البرية باتجاه البحر. وصمتت سارة ايضاً وهي تذوب عطفاً عليه لانه لا بدّ ان يكون حزيناً لعودته هكذا وحيداً الاّ منها، وهي التي تذكره بفقدان اخيه وشريكه ورفيقه!

ورمقت اليد السمراء الملقاة على مسند المقعد وتاقت الى ملامستها لتعزية صاحبها مثلما عزاها هو في القطار. غير ان ذلك كان من المحال، فهي في نظره آخر من يلجأ اليها في سبيل الحصول على العزاء. ففي المكسيك، حين كان ألمه لفقدانه اخيه جديداً بعد، لجأ

اليها كمخدر على حدّ تعبيره. أما الآن فهو في وطنه وبين اهله واصدقائه، ولم يعد بحاجة اليها حتى كمخدر.

وتذكرت كيف اشرق وجه ديانا فوريس عندما شاهدته، وكيف قبلته وحدقت اليه. كان مغزى ذلك واضحاً جلياً. فهل كانت مقربة اليه على نحو خاص؟ وأبعدت عنها هذه الفكرة واعتبرتها نتيجة كرهها لديانا منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليها، ولكن شيئاً في اعماقها كان يصر على انها لم تكن في اعتبارها هذا على حق. فالواقع هو ان فكرة غرام جايسون بديانا فوريس أو اي امرأة اخرى يمكن ان يدمر حياتها اذا لم تنتبه وتأخذ حذرها. فخير لها ان تنسحب من حياة جايسون نايت انسحاباً كاملاً، وتبدأ حياة جديدة بأسرع ما يمكن.

وتراجعت الى زاوية المقعد وتطلعت من النافذة. ثم لم تلبث السيارة ان اجتازت قرية صغيرة وتسلقت رابية. كان الطريق اليها متفرعاً من الطريق العام. وبعد مسافة قصيرة توقفت أمام منزل حجري رمادي اللون. وحين ترجلت سارة من السيارة وتأملت المنزل وما يحيط به شعرت كمن يعود الى بيته بعد غيبة طويلة. ذلك ان منطقة دورسيه كانت الموطن الوحيد الذي تتذكره.

ودفع جايسون للسائق أجرته والتفت الى سارة قائلا بسخرية:

ـ اهلاً وسهلاً يا سيدة نايت!

وكانت العمة فيرا مفاجأة لسارة. ذلك انها توقعت ان ترى سيدة طويلة القامة سمراء اللون، متقدمة في السن، جافة الطبع كجايسون، فاذا بها أمام امرأة معتدلة القوام، كستنائية الشعر، مشرقة الوجه، سهلة الابتسام.

وأقبلت المرأة نحو جايسون، فقبلته وعانقته قليلاً بصمت حزين. ثم التفتت الى سارة، وبدون مقدمة، طوقتها بذراعيها وحضنتها بعطف شديد. فشعرت سارة، على حين غرة، بالارتياح لأن جايسون، على ما يبدو لم يوغر صدرها عليها كما خشيت ان يفعل.

ثم تطلعت فيرا الى جايسون قائلة:

- انت لم تخبرني!
- ماذا اخبرك؟
- ان سارة فتاة على مثل هذا الحسن.
- ألم أخبرك؟ لعلني نسيت!

ونظرت العمة فيرا الى سارة تارة والى جايسون تارة اخرى، ثم قالت بصوت هادىء:

- لا بدّ أنك متعب جداً يا عزيزي لكثرة ما عانيت من مشقة السفر... أعددت الشاي، وسنشربه قبل أن نتناول طعام العشاء. والآن اجلسا هنا حتى اذهب وآتي به.

وتطلعت سارة الى جايسون، وكان يدير ظهره اليها ويقرأ رسالة وجدها هناك بانتظاره، فداخلها الخوف منه وقالت لفيرا:

- هل تسمحين لي بمرافقتك؟
- نعم، نعم. واعلمي يا ابنتي ان هذا البيت بيتك، وبامكانك ان تفعلي ما يحلو لك.

وفي المطبخ قالت فيرا لسارة:

- طيلة هذا النهار يا عزيزتي وأنا افكر في ماذا أقول لك. فالوضع الذي نحن فيه مأساوي. والآن بعد ان رأيتك، تبينّ لي ان كل ما فكرت ان اقوله لم يكن سوى كلام مصطنع، لأني اشعر بأننا سنكون صديقتين... وأمل ان يصدق شعوري هذا.

واحست سارة بان هذا الكلام كنار توقد في غرفة ملأها الصقيع تسكنها طوال الوقت الذي قضته برفقة جايسون. وقالت لفيرا بصعوبة:

- اتسمحين لي ان اسألك ماذا اخبرك جايسون عني وعن زواجي بتيم، وعن كل شيء؟

واخذت الماء تغلي، فسكبتها فيرا في ابريق الشاي، ثم تطلعت الى سارة واجابتها بصراحة لا يرقى اليها الشك:

- لم يخبرني بشيء على الاطلاق. كل ما قاله لي هو ان ليس لك

أهل تذهبين اليهم، ولذلك، فهو عازم على اصطحابك معه الى هنا.

فقالت سارة بتردد:

ـ ولكن جايسون لا يريدني. فهو يلومني على ما جرى لتيم.

ووضعت فيرا ابريق الشاي على عربة نقل الطعام وغطته بغطاء مطرز باليد وقالت:

ـ اهذا صحيح؟ لا بأس، فلا شك سيدرك خطأه يوماً، فهو كمعظم البشر قد يقع احياناً ضحية التطرّف في الشعور. وحين كان صغيراً اتصف بالعناد الشديد، ولكني لا اتذكر انه كان يتمسك بعناده طويلاً.

وتوقفت عن الكلام، فيما تحول لون عينيها الرماديتين فجأة الى مثل لون الصقيع وقالت:

ـ وفاة تيم نزلت علينا جميعاً كالكارثة، ولا سيما جايسون، لتأثر الشركة واعمالها بهذه الوفاة. ولكن هذا كله لا علاقة له بوضع اللوم في ذلك على احد، ولا بالسماح لانفسنا بأن نرزح تحت ثقل الكارثة. فالحياة تستمر في سيرها وعلينا ان نسير معها.

وربتت على كتف سارة وتابعت قائلة:

ـ دعيني اعتني بك فترة من الزمن يا عزيزتي، فانت منهوكة القوى كهرة شريدة، ويلزمك قسط من الراحة والغذاء، حتى اذا انقضى شهر واحد تغيّرت حالك واصبحت على ما يرام.

وفكرت سارة كيف يمكنها الاحتمال شهراً بعد، اذا كانت سترى جايسون كل يوم. ولذلك بات عليها ان تضع في اسرع وقت، خطة للافلات من ذلك الفخ.

وفي الفراش تلك الليلة أغمضت جفونها وراحت تفكر في الأمر، الى ان استقر رأيها مؤقتاً على البقاء الى حين في ضيافة العمة فيرا التي كانت تبدي كل عطف وحنان. وعلى ذلك استسلمت الى النوم، لأول مرة منذ ايام، بمثل تلك السرعة.

ومضت ثلاثة اسابيع سمحت سارة لنفسها بأن تتدلل، ولم تكن

تنوي ان تبقى في ضيافة العمة فيرا تلك المدة الطويلة، ولكنها كانت تعاني من الاعياء والانهاك اكثر ما كانت تدرك. وحين كان طعام الفطور الشهي يحمل اليها وهي بعد في الفراش، كانت تشعر بهناء لا يعادله هناء، خصوصاً وان رالف لم يكن هناك، كما من قبل، ليحثها على النهوض لتكون على اتم الاستعداد للقاء اصدقائه الاثرياء.

واصطحبتها فيرا مرة بالاتوبيس الى بورغوث حيث اشترت لها لوازم السباحة من ثياب وما الى ذلك. وهكذا تمكنت من قضاء معظم وقتها على شاطىء البحر، تلهو وتسبح وتتشمس. وكانت احياناً تصعد المرتفع المطل على البحر الواسع، وتترك الهواء يداعب شعرها ويدغدغ بشرتها الغضة التي لوحتها حرارة الشمس.

ولم تكن تلتقي جايسون إلاّ لماماً، عند ذهابه الى حوض بناء السفن أو العودة منه. وكان يقضي معظم وقته هناك، وغالباً كان يترك المنزل قبل ان تنهض من الفراش، ويعود اليه بعد ان تكون انتهت من تناول طعام العشاء مع العمة فيرا. وكان جايسون يجلس وحده في غرفة الطعام ويسترق النظر الى غرفة الجلوس حيث كانت تجلس سارة وفيرا. وبعد الانتهاء يعتزل في مكتبه، فلا يعود احد يراه في تلك الليلة.

وقالت لها فيرا:

ـ لا تظني ان جايسون يتعمد الانعزال ما أمكن بسبب وجودك هنا يا سارة. فهو، بالحقيقة، منهمك جداً في عمله هذه الأيام. لا أعرف دقائق الأمور، ولكنني أعرف انه ينفق كثيراً من المال والجهد في مغامرة تصدير السفن التي يبنيها في الحوض بدون توقف لتلبية الطلبات في وقتها، ومنها بناء يخت فخم لشاب ثري جاء للاقامة في الجوار منذ وقت قريب.

ـ هل هو اوليفر فوريس؟

ـ نعم، وهل تعرفت اليه؟

ـ كان في القطار الذي نقلنا الى هنا.

وشعرت سارة بالحرارة تصعد الى خديها، حين تذكرت رحلتها في القطار، ثم تابعت كلامها قائلة:

ـ تعرفت اليه لأن اخته استقبلته في المحطة.

وغرزت فيرا الابرة في قطعة القماش التي تطرزها وقالت بعصبية:

ـ ديانا؟ يا لها من طفيلية! ولكن الرجال يصيبهم الجهل المطبق احياناً.

ولم تشرح ما تعنيه بهذا الكلام، ولا طلبت منها سارة ان تفعل. ولاحظت سارة من تصرف فيرا أن حدسها بوجود علاقة بين جايسون وديانا كان على حق، وجلست تحملق في الموقدة، في تلك الغرفة الحميمة التي كانت تخلد فيها الى السكينة والراحة منذ ثلاثة اسابيع، حتى أصبحت تعشقها. وتساءلت في نفسها اذا كانت ديانا ستنجح في اصطياد جايسون، فتأتي للسكن في هذا المنزل، ولكن شيئاً واحداً كانت سارة متأكدة منه، وهو انها لن تبقى طويلاً حتى تشهد ما يتم في هذا الشأن.

ـ نعم، أعتقد ان افضل شيء لك يا سارة هو ان تأخذي دروساً في ادارة الاعمال المكتبية.

قالت الآنسة غلن رئيسة مدرسة البنات هذا الكلام ونهضت عن كرسيها مشيرة الى ان المقابلة انتهت.

ونهضت سارة أيضاً وتبعتها الى الباب تودعها شاكرة، فقالت لها الآنسة غلن:

ـ طبعاً، لو أكملت دراستك هنا على المستوى الممتاز، لكان امامك خيارات كثيرة.

وكانت بذلك تظهر امتعاضها، شأنها مع كل طالبة تترك المدرسة قبل ان تكمل دراستها، مما بعث القشعريرة في أعماق سارة. فهي انما جاءت الى مقابلة الآنسة غلن لتفضي اليها بما جرى لها، ولكنها وجدتها منهمكة بالعمل الى حد لا يسمح لها بالوقت الكافي للاصغاء

اليها. وكان كل ما استطاعت ان تخبرها به هو انها عزمت على الاستقلال التام عن زوج أمها، فرأت ان تأتي لاستشارتها في شأن ايجاد وسيلة لاعالة نفسها بنفسها. ثم اعترفت لها بانها اخطأت حين تركت المدرسة باكراً.

وفتحت الآنسة غلن غرفة مكتبها وهي تقول لها:

- علينا ان ننسى اخطاءنا، وان نتعلّم منها دروساً في الحياة. في كل حال لا تقلقي يا سارة، فعنوانك عندي وسأرى كيف يمكنني ان أتدبر أمر ايجاد وسيلة تسمح لك بالدراسة هنا. وسأتصل بك، فتأتين الى زيارتي في وقت لا أكون فيه منهمكة في العمل!

وفيما سارة تشكرها وتهم بمغادرتها، قالت لها الآنسة غلن:

- كلمة أخيرة يا سارة. انت تدركين انه ليس عليك ان تشعري بانك مدينة لزوج امك بشيء. فأقساطك المدرسية كانت تدفعها شركة التأمين، بموجب العقد الذي تممه والدك بعد ولادتك... هل كنت تعرفين ذلك؟

فاجابتها سارة:

- كلا. اشكرك لاخباري به يا آنسة غلن.

وفيما سارة تنزل ببطء ذلك الدرب الطويل المؤدي الى الطريق العام، حيث تركب الاوتوبيس لنقلها الى بورغوث، شعرت بشيء من الدفء وهي تفكر بالأب الذي لم تعرفه، والذي أراد ان يبذل اقصى ما يستطيع لاجلها، فجعلها هذا الشعور لسبب ما، أقل وحشة وكآبة من قبل.

ولكن حين عادت الى بورغوث ووقفت في مواجهة البحر تحدّق عبر مياهه نحو جزيرة وايت، عادت اليها الوحشة. كان عليها ان تسر بالخطوة الاولى التي اتخذتها نحو مستقبل جديد، بعيداً عن جايسون نايت، ولكن مقابلتها مع الآنسة غلن لم ينجم عنها اي شيء حاسم لتشجيعها ورفع معنوياتها.

واستندت الى الحاجز وتركت النسيم يبعثر خصلات شعرها

ويلاعب قميصها المشقوق عند الصدر. وفكرت ان ذلك الشاطىء سيمتلىء بعد بضعة أسابيع بالمصطافين، ولكنه الآن في نيسان (ابريل) لم يكن فيه غير سكانه الذين ينعمون بنور شمس الربيع. وحاولت ان تجلب السرور الى نفسها بالتفكير انها في عز صباها، وانها حسناء وكلها عافية، وانها ستعود الى دراسة الاعمال المكتبية التي تؤدي بها الى الاستقلال عن الآخرين وبناء حياة خاصة بها.

وفجأة سمعت صوت رجل يقول لها:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

فاستدارت وقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها، فاذا بها وجهاً لوجه امام جايسون. فقالت له:

ـ انا لا أحاول الهرب، اذا كان هذا ما خطر ببالك!

ووقف ينظر اليها. وكم كانت دهشتها عظيمة حين رأته يبتسم وهو يقول لها:

ـ لم يخطر ذلك ببالي. في كل حال، لا يمكنك الهرب بالقليل من المال الذي في حوزتك!

فشعرت سارة بالارتياح لسبب تجهله، الاّ اذا كان السبب وجوده قربها وهو يبتسم.

وقالت له بجفاف:

ـ هذا دليل على كرمك.

وكانت تشير بذلك الى انها وجدت بعد يوم من وصولها، ظرفاً تحت باب غرفتها يحتوي على قليل من المال لمصروفها اليومي.

فقال لها:

ـ لم أشأ ان اجازف. واستند الى الحاجز بقربها وتابع قائلا

ـ لم تخبريني ماذا ذهبت تفعلين في بورغوث.

فاجابت بتردد:

ـ لا شيء يثير الاهتمام. رافقت عمتك الى حيث تتعلّم التطريز، ثم فارقتها وتمشيت في شارع البلدة بعض الوقت قبل ان استقل

الاوتوبيس عائدة الى هنا.

فقال لها:

- لا حاجة بك الى اوتوبيس. أنا عائد الى البيت بعد حين وبوسعك أن تأتي معي.

واشار اليها بالصعود في سيارته المتوقفة على مقربة من المكان.

وجلست الى جانبه في تلك السيارة الفخمة وهي تعبر الشوارع باتجاه البيت. وحاولت ان تجد ما تكلمه به، ثم آثرت ان تصمت، ملقية يديها المتشابكتين في حضنها.

ثم قالت له بعصبية ظاهرة:

- لحسن الحظ انك رأيتني وانا واقفة هناك.

فاجاب بدون ان ينظر اليها:

- حظك أنت ام حظي أنا؟

- حظي أنا طبعاً، لأني لم ادفع من مصروفي القليل الخاص أجرة الاوتوبيس!

فابتسم ابتسامة عريضة بعض الشيء وقال:

- هكذا، اذن؟

وبعد صمت قصير سألته قائلة:

- هل حوض بناء السفن مكان واسع؟

فاجابها وهو يخفف سرعة السيارة عند المنعطف:

- ليس واسعاً بما فيه الكفاية. كنت اضع الخطط لتوسيعه، ولكن...

واجتاز المنعطف، ولكنه لم يكمل عبارته.

ولم تحاول سارة ان تتابع الحديث معه، فلزمت الصمت الى ان وقفت السيارة امام منزل ضخم في أحد الشوارع الخلفية. ولم تكن سارة تعرف كيف يكون حوض بناء السفن، ولذلك فوجئت حين فتح جايسون بوابة حديدية ثقيلة ودخل منها مشيراً اليها ان تتبعه.

كان في الحوض عشرة رجال او اكثر قليلاً يعملون في البناء، كل

منهم في حقل اختصاصه. وكان في الجو ما يشبه رائحة الزيت وصدى أصوات يعلو على هدير الادوات الكهربائية.

وكان على يمينها وهما داخلان الى الحوض مركب كبير على وشك الانتهاء، فقالت سارة:

- يا له من مركب جميل حقاً!

واقتربت اليه وهي تبدي اعجابها به، فقرأت اسم «ديانا» مكتوباً باحرف بيضاء لامعة في مقدمته.

فقالت لجايسون:

- هل هذا هو اليخت الذي تبنيه لاوليفر فوريس؟

فلما اجاب بالايجاب قالت:

- انه مركب فخم ورائع!

- نعم، فهو دمية بيد رجل ثري، وأظن انك شاهدت كثيراً مثله.

وكان هذا صحيحاً. ففي غضون السنة التي عاشتها مع رالف أبحرت في يخوت اصحابه الاثرياء اكثر من مرة، ولكنها لم ترد الآن ان تدخل مع جايسون في مثل هذا الحديث. وجالت بنظرها في ارجاء الحوض وقالت:

- هذا مكان واسع جداً.

- اوسع مما توقعت؟

- لم اكن اتوقع شيئاً، لأني لم افكر في هذا الموضوع ابداً.

ورمقها جايسون بنظرة وقال:

- لم تفكري في هذا الموضوع؟ ولكن لا شك في ان هنالك من فكّر فيه عنك!

واستولى عليها الغضب من هذا الكلام، وكاد الشرر يتطاير من عينيها. وخطر لها ان تضربه على وجهه أمام جميع عماله، ولكنها ضبطت اعصابها وقالت له:

- الا تقلع عن توجيه مثل هذه التهم الي؟ تعبت وضجرت منها حتى الموت... واعجب كيف انك لا تزال مصراً على الظن بأني

تزوجت تيم لاجل ماله!

فاجابها وهو ينظر الى اصابع يديه:

- في كل حال، الى الآن انت لم تستفيدي شيئاً. ولكن وقت الحساب لن يطول.

- وقت الحساب؟ لا افهم ماذا تعني.

وتفرس جايسون في وجهها جيداً قبل ان يقول:

- اكاد اقتنع بصدق كلامك!

واستدار نحو مصدر صوت يناديه، فاذا باوليفر فوريس مقبلاً نحوهما. كان يرتدي سترة جلدية غالية الثمن، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.

ويادرهما بالتحية، ثم قال وهو يحدق الى سارة:

- يا لها من مفاجأة سعيدة... كيف حالك يا سارة؟

فردت التحية بمثلها، وهو ينظر اليها على نحو احرجها وضايقها وهنا قال جايسون بنبرة عملية:

- يختك سيكون جاهزاً في الموعد المعين، وغداً نضعه في مكانه في الميناء.

فاجابه بابتهاج:

- انجاز رائع... ما رأيك باقامة حفلة تدشين؟ يمكننا ان نبحر باليخت الى فرنسا، وهناك...

فقاطعه جايسون قائلا:

- هناك؟ ليس بهذه السرعة يا صديقي. يجب ان يمر بمرحلة «الروداج» قبل ان يقطع مسافة بعيدة كهذه. ثم ان هنالك بعض المعاملات الرسمية يجب انهاؤها.

فقال اوليفر:

- ولكن يمكننا ان نصعد اليه حين يوضع على الماء.

- هذا ممكن، بالطبع.

- اذن، دعنا نجتمع كلنا هنا في السادسة والنصف مساء. فما

رايكما؟

ونظر اوليفر الى سارة وخاطبها قائلا:

ـ ارتدي ثياباً دافئة يا سارة، هذا المساء.

وبعد ان امتدح زيها الذي كانت تلبسه، قال لجايسون:

ـ هل توافق يا جايسون، الساعة السادسة والنصف.

ونظرت سارة الى وجه جايسون، فرأته جامداً وغير متأثر بشيء.

وقال جايسون بعدم اكتراث:

ـ اوافق.

وبدا لسارة ان موقف جايسون لم يكن كما يجب ان يكون موقف رجل اتم صفقة تجارية كبيرة.

واقبل رجل من العاملين في الحوض، فهمس في اذن جايسون كلاماً اعلن على اثره لسارة وأوليفر انه مضطر الى فراقهما قليلا لمحادثة الرجل.

وعندما انفرد اوليفر بسارة، لم يظهر عليه انه كان يستعجل الرحيل. والقى يده على المركب الجديد مداعباً خشبه الجديد الرائع وهو يقول لسارة:

ـ كم اتوق الى رؤيته في الماء... وديانا كذلك. فهي وجايسون تعاونا على تأثيثه في الداخل منذ البداية.

وقهقه ضاحكاً، ثم تابع كلامه قائلا:

ـ وتعاونا على اكثر من ذلك...

والقى نظرة ذات مغزى على جايسون وهو يتحدث الى رجلين اثنين على رصيف الحوض.

فسألته سارة قائلة:

ـ هل ديانا مخطوبة لجايسون؟

فقهقه ثانية وأجاب:

ـ ليس رسمياً بعد... ربما غداً، فيكون الاحتفال احتفالين...

قال ذلك، ثم ودعها بتردد.

وراقبته وهو يبتعد عنها، فشعرت بالضيق والكآبة. اذ لم يخامرها أي شك في ما سيكون عليه الاحتفال الثاني غداً.

٧- أنت خفيفة كالريشة

وفي طريق عودة جايسون وسارة في السيارة الى البيت، لزم جايسون الصمت طويلا، ثم قال لها:

ـ هل تريدين حقاً ان تحضري الحفلة غداً يا سارة؟ فربما أستطيع ان اجد عذراً لعدم حضورها.

فلم تتردد في الاعراب عن رغبتها في الحضور، لأنها أرادت ان ترى كيف يتصرف مع ديانا فوريس. ففي ضوء ذلك تستطيع ان تتأكد من كثير من الأمور.

فقالت له:

ـ اظن ان الحفلة ستكون ممتعة... كان اوليفر مصراً على دعوتنا الى حضورها، ومعتزاً بيخته الجديد... فهو رجل طيب، ألا تظن ذلك؟

فاسترخى في مقعده وحدجها بنظرة تأمل طويلة، ثم قال:

ـ ولا تنسي ايضا ان اوليفر رجل ثري!

فأثارتها نبرته الاتهامية، فأجابته بعصبية:

ـ ماذا تقصد بكلامك هذا؟ ألا تستطيع ان تقلع عن عادتك في الخبث والدس؟

فرفع حاجبيه وتطلع اليها بأجفان ترتعش كأنما طعن بحربة، وقال:

ـ الحق معك... ربما أصبح ذلك من عادتي.

وحين علمت العمة فيرا بخبر الحفلة ابتهجت وقالت لسارة:
- ماذا ستلبسين يا عزيزتي؟ سيكون الطقس بارداً على ظهر اليخت في هذا الوقت من السنة.
فأجابتها سارة:
- نعم، هذا ما قاله اوليفر ايضا، واقترح عليّ ان أرتدي اللباس الذي كنت أرتديه بعد ظهر اليوم.
- فكرة صائبة. نعم، كنت بارعة الحسن في ذلك اللباس الزاهي، ألا تعتقد ذلك يا جايسون؟
فأجابها بالايجاب بدون ان ينظر اليها، وكان يقطع بالسكين آخر قطعة من التفاحة التي بين يديه وهو جالس الى الجانب المقابل من المائدة.
وتابعت العمة فيرا كلامها قائلة:
- ستعتني بسارة يا جايسون. أتعدني؟ أرجو إن تنتبه الى انها لن تبرد في الحفلة. فصحتها تحسنت كثيراً، ولا نريد ان يصيبها اي انتكاس.
فرفع جايسون عينيه هذه المرة وتطلع الى سارة مبتسماً وقال:
- اعتقد ان اوليفر سيعتني بها جيداً... فهي استطاعت بسرعة فائقة ان تثير اهتمامه... والآن هل تسمحا لي بأن اترككما؟ فعندي عمل ضروري يجب عليّ انجازه الليلة.
قال ذلك وحمل فنجان القهوة وخرج من الغرفة.

أما سارة فكادت تقهقه ضاحكة، ذلك لأنها لاحظت ان فيرا تشك في وجود عاطفة بينها وبين جايسون، وأن تصرفه كان ناجماً عن غيرته من اوليفر.
ورمقت فيرا الجالسة الى جانبها بنظرة وهي تفكر كم كانت فيرا تختلف عما كانت تتخيلها قبل ان تراها. فهي اصغر سناً، بشعرها

الكستنائي الناعم، وعينيها العذبتين اللتين تشبها عيني تيم، وروحها الشابة التي أتاحت لها ان تعرف بنفسها اموراً كثيرة لم تخبرها بها سارة.

وقالت لها سارة:

ـ شملتني بعطفك ورعايتك منذ جئت الى هنا يا عمتي فيرا. قبلتني على علاتي ولم تسألي اية أسئلة!

فأجابتها فيرا:

ـ عندما تريدين ان تخبريني بأي شيء او تتحدثين في أي أمر، فما عليك إلا ان تفعلي... وقد يكون الوقت لم يحن بعد!

فقالت لها سارة:

ـ سيحين الوقت قريباً جداً.

وكانت سارة بالفعل عازمة على ان تصارح فيرا بكل شيء قبل ان تغادر منزلها. وتمنت ان يكون ذلك عما قريب.

وفي اليوم التالي كانت الشمس مشرقة والنسيم دافئاً عليلاً، وهو طقس أقرب الى منتصف حزيران (يونيو) منه الى منتصف نيسان (ابريل). ولم تأت الخادمة كعادتها كل صباح، فأصرت سارة على مساعدة فيرا في تدبير شؤون المنزل، وقالت:

ـ سأهتم بتنظيف غرف النوم، فهذا لن يضيرني في شيء.

وبالفعل لم يضيرها في شيء دخولها غرفة جايسون وتنظيفها وترتيبها بحماسة. وكانت حيث تلفتت كأنما تراه هناك. فأمام المرآة كان يحني ظهره ليمشط شعره، وعند النافذة كان يتطلع عبر البحر الى الأفق البعيد وهو يفكر في عمله وفي السفن التي سيبنيها، وربما في ديانا فوريس. كلا. كل شيء ولا ديانا فوريس، فلو شاءت ان تدخل هي في حياة جايسون، فلن يكون فيها مكان لتلك الفتاة.

ولم تكد سارة تنتهي من ترتيب الغرفة حتى خرجت منها بسرعة وتنفست الصعداء.

ومر ذلك النهار ببطء. وفيما كانت العمة فيرا تأخذ قسطها من

الراحة، تمشّت سارة حول المنزل من جهة البحر. كان منظر البحر رائعاً، نظرت صوب الأفق البعيد وتمنت لو انها تبقى طوال حياتها في ذلك المكان الذي أصبحت تحبه كل الحب.

ولم يظهر أي اثر لجايسون كل النهار، ولكنه في السادسة مساء عاد الى المنزل ودخله كالعاصفة وراح يصعد السلم درجتين درجتين، ثم نزل الى غرفة الجلوس بعد ذلك بنحو عشر دقائق وشعره لم يزل مبلل بعد الاستحمام. وكان بلباسه الرمادي، وقميصه الحريري المقلم، وربطة عنقه الحمراء الغامقة، حسن الهندام بحيث خفق قلب سارة رغبة واعجاباً عندما وقع نظرها عليه.

وقال لها بدون ان يتطلع اليها:

ـ هل انت مستعدة؟

وأصعدها الى السيارة ثم ودع العمة فيرا في المطبخ وقاد السيارة بسرعة العاصفة في الطريق الساحلية. ولكنهما مع ذلك لم يصلا في الوقت المعين لركوب العوامة في ساندفيلس، فكان عليهما انتظار النقلة التالية. وحين وصلا في آخر الأمر الى ميناء اليخوت، كان اوليفر وديانا قد سبقاهما.

أوقف جايسون سيارته وراء سيارة اوليفر الحمراء الفخمة، فأقبلت عليه ديانا وطوقته بذراعيها حالما نزل من السيارة وهي تقول:

ـ أليس هذا رائعاً. عندما أخبرني اوليفر عن الحفلة طرت فرحاً. . . آه، يا حبيبي جايسون، كم أنت رجل فطن وذكي لأنك انهيت يختنا الجميل في الموعد المحدد. . . وأنا الآن متشوقة جداً للصعود اليه.

وكانت سارة جالسة في السيارة تراقب ديانا، فرأتها فتاة جميلة ممتلئة القامة، تنضح صحة وعافية. وكانت آنذاك ترتدي بنطالا ضيقاً أزرق اللون وسترة فرو بيضاء لا تصل الا الى خصرها. وفكرت سارة بحزن ان ديانا هي فتاة من النوع الذي يرغب جايسون في الزواج به. ذلك لأنه رجل يقضي معظم وقته في الطبيعة ويعمل

في بناء السفن.

وقالت ديانا لجايسون وهي تمسكه بذراعيه، غير مبالية بوجود سارة في السيارة.

ـ هيا بنا... لم أعد اطيق الانتظار.

فابتسم لها وردّ مازحاً:

ـ هل انت مستعدة لدخول مباراة السباق حول العالم؟

ـ كيف لا؟ شرط ان تكون برفقتي!

فتأوه جايسون وقال:

ـ ماذا يطلب الرجل أكثر من ان يكون بجانب احدى عرائس البحر في خضم محيط دافىء!

ـ لا أحد دعاني عروس بحر من قبل يا جاي!

وهنا لم تستطع سارة ان تطيل الصبر، فنزلت من السيارة وهي تقول لجايسون وديانا:

ـ كفاكما الآن... هيا بنا الى حيث نحن ذاهبون.

وما كادت تضع قدميها على الأرض حتى تلقفها اوليفر وأمسك بيديها الاثنتين مرحباً وهو يقول:

ـ كم أنت رائعة الجمال يا حلوتي! هل تسمحين لي؟

وفي لحظة كان يطوق خصرها، وقبل ان تدرك ماذا ينوي ان يفعل، طبع قبلة على خدها.

وفي هذه الاثناء كان جايسون أفلت من ديانا وقال:

ـ هيا بنا... أنذهب في سيارتي أم في سيارتك يا اوليفر؟

ـ في سيارتي. جايسون وديانا يجلسان في المقعد الخلفي وسارة تجلس بجانبي وتمسك يدي وأنا أقود السيارة...

فلزم جايسون مكانه وقال:

ـ انا لا أثق بسائق يقود سيارته بيد واحدة.

فحدجه اوليفر بنظرة حائرة وأجاب:

ـ تعال يا جايسون... كنت أمزح، لا اكثر ولا أقل.

وقهقهت ديانا ضاحكة ودعت جايسون الى صعود سيارة اوليفر وهي تقول بابتسامة كشفت عن أسنانها البيضاء:

- عهدي بك طويل البال يا حبيبي!

وصعدت سارة الى السيارة وجلست الى جانب اوليفر، فرحّب بها وشدّ على ركبتها بيد وأدار المحرك باليد الأخرى.

وكانت الميناء على مسافة بضع دقائق. وحين وصلوا أوقف اوليفر السيارة، فنزلوا وساروا على الرصيف.

وانحنى اوليفر نحو سارة وهو يقول:

- هذا شيء عظيم... أي لقاؤنا اليوم في هذا الاحتفال!

ولم تكن سارة متأكدة من صحة هذا الكلام. فالليلة كما بدأت لم تكن تبشر بالخير.

وحاولت سارة ان تغير الجو، فجالت بنظرها في الميناء وقالت:

- تبدو هذه الميناء قديمة، حتى يخيّل اليك انك قد تفاجأ بقرصان نزل الى اليابسة ويستريح في احدى الزوايا!

كانت هذه الملاحظة غير حكيمة. وأدركت سارة ذلك، ولكن بعد ان نطقت بها. فما كان من اوليفر الا ان رمقها بنظرة كلها معنى، ثم اقترب وهمس في أذنها قائلا بلهجة مجنونة:

- ما ان نصعد الى اليخت حتى تصبحين كلك لي!

وهنا ارتفع صوت جايسون مخاطباً اوليفر:

- أوقفنا اليخت داخل حائط الميناء لهذه الليلة فقط، وسنعيدها الى مربضها غداً، اذا كان هذا هو الذي تريده!

فأجابه اوليفر:

- كما تقول يا صديقي.

وما ان حانت منه نظرة الى اليخت حتى صاح:

- هذا هو... هيا بنا نصعد اليه في الحال.

وقفز من السيارة ومد ذراعيه ليساعد سارة في النزول، ولكن جايسون اندفع نحوها وسار بها نزولاً على السلم الحديدي المستند الى

حائط الميناء، وتبعتهما ديانا بعد ان ابدت عدم حاجتها الى مساعدة جايسون.

ويدا اليخت لسارة، حين وصلت اليه اصغر مما خيّل اليها عندما رأته للمرة الأولى. غير انه كان مركباً رائع الفخامة حقاً.

ودخل جايسون وديانا في حديث يتناول بالتفصيل كل ناحية من نواحي اليخت: كيف يعمل؟ ومن أي شيء يتألف؟ ولأي شيء هذا الجهاز أو ذاك؟ . . . اما سارة، فسارت مع اوليفر وهي تحاول ان لا تبالي بالآخرين وما يبدو عليهما من انسجام ووحدة حال.

وقال لها اوليفر:

ـ انا لا أعلم شيئاً عن كل هذه التفاصيل التي يتحدثان عنها. فهي من اختصاص ديانا، وكل ما أفعله هو اني أدفع التكاليف. . . وهذا اليخت أرادته ديانا، وهي دائماً تنال ما تريد!

ونظر الى حيث جايسون وديانا. وكان جايسون يطوق خصر رفيقته بذراعه وهما مستغرقان في الحديث.

ثم تابع اوليفر كلامه قائلا:

ـ افهمت ما أعني؟ أنظري اليهما. . . كأن واحدهما خلق للآخر.

وخشيت سارة ان ما يقوله صحيح. فديانا هي النوع الذي يليق به، بينما هي ليست سوى فتاة ساذجة سمحت للآخرين بأن يوجهونها كيفما يريدون. غير ان ذلك يجب ان يوضع له حد، وهي ستفعل ذلك قريباً. فهي الآن أفضل حالا من ذي قبل، وبامكانها ان تبني مستقبلها بنفسها، بدون حاجة الى جايسون أو سواه.

ودخلوا جميعاً الى غرف اليخت، فاذا هي مصنوعة على نحو رائع لا يوصف. فالجدران من الخشب، والمقاعد من المخمل، وهناك كل ما يحتاج اليه الانسان من أجل الراحة والعيش الهنيء.

وقالت ديانا لجايسون:

ـ هذا تماماً كما تخيلته يا جاي. انت رجل ماهر يا حبيبي، الدليل هذا المركب الفائق الجمال. . .

وقهقهت ضاحكة وهي تدعو الجميع الى الطعام والشراب واللهو، احتفالا بهذا الحدث السعيد.

وحين أخذت انوار اليخت تخفت أعلن جايسون ان قوارير الغاز لم تكن بعد متصلة بالخزان، ولكن هناك مشعلاً كهربائياً في مكان ما من اليخت. واجتاز المطبخ الى الجهة الأخرى تتبعه ديانا وهي تضحك بصوت مسموع. ثم ساد الصمت وبقيا هناك ولم يعودا.

وكان اوليفر يجالس سارة، فلما خفت النور وخلا له الجو، أمسك بذراعها وجرها الى الفراش وهو يقول:

- الفراش ضيق قليلا يا حبيبتي. . . ولكن لا بأس!

وجذبها اليه بشدة، وكانت الرغبة اخذت منه كل مأخذ، مما أزعجها كثيراً وجعلها تحاول الابتعاد عنه.

فقال لها:

- لا تتصرفي معي هكذا يا حبيبتي. أعلم انك مررت بأيام صعبة، ولكن الحياة لا تتوقف عن السير الى الأمام، ولا فائدة من العيش في الماضي.

كان يقول ذلك ويده تعبث بشعرها. فدفعته عنها وهي تلتمس منه ان يعف عنها ويتركها وشأنها. وكانت تفعل ذلك بما أمكنها من الهدوء لئلا تعكر الجو وتزعج جايسون وديانا في الجهة المقابلة.

ولكن اوليفر لم يشأ ان يتوقف، بل شدّها اليه اكثر فأكثر وجعلها تستلقي الى جانبه. وبدأت تشهق بالبكاء، فأطبق بيده على فمها ثم حاول عناقها.

وفجأة تسلّط عليهما نور المشعل الكهربائي، وظهر ظل جايسون في الباب. ثم تقدم نحوهما بصمت وقال:

- كفى الآن. . . هيا. . . نحن ذاهبون.

فأفلت اوليفر سارة التي سارعت الى الوقوف على قدميها، وكل ما كانت تتمناه آنذاك هو ان تقفز من اليخت الى البحر وتغرق في أعماقه.

ونهض اوليفر بصعوبة وهو يقول لجايسون:
- لم يكن لائقاً ان تفعل هذا يا صديقي.
فأجاب جايسون:
- علينا الرجوع الى البيت أليس كذلك؟
وصاحت ديانا وراءه بمرح وابتهاج:
- دعونا كلنا نعود الى بيتنا ونستمع الى الموسيقى ونرقص ونأكل ما نجده جاهزاً في الثلاجة.

وضاق صدر سارة، خصوصاً حين خطر ببالها ما يمكن ان يحدث قبل نهاية تلك السهرة، فاندفعت الى الخارج رغبة منها في التخلص من اوليفر فوريس ويخته الفخم واخته المتكبرة. وكانت تشهق بالبكاء وهي تضع قدمها على الدرجة الأولى من السلم الحديدي الذي يصعد بها من الميناء.

ولكن ما ان صعدت درجتين او ثلاث حتى زلقت قدمها، وعبثاً حاولت التمسك بحاجز السلم، فسقطت وغابت عن الوعي. وحين عاد اليها وعيها وجدت نفسها على ظهر اليخت وجايسون قربها.

وقال لها:
- من الجنون ان تفعلي ذلك. لماذا لم تنتظري؟
كان غاضباً ولكنه كان يلمس ساقها وكاحلها برقة ولطف ويقول:
- هل الوجع هنا شديد! لا أظن ان هنالك كسر.
وجلست سارة بصعوبة وقالت:
- الوجع في كاحلي فقط.
ووقعت ديانا امامها وهي تقول لها:
- قفي على كاحلك فتعرفين اذا كان أصيب بأذى.
قالت هذا الكلام بانزعاج ظاهر، لأنها خشيت ان يحول هذا الحادث دون اكمال بقية السهرة.

وتمسكت سارة بيد جايسون، فيما طوقت احدى ذراعيه خصرها، وتهالكت واقفة على قدميها. وشعرت بوجع في كاحلها ولكنه لم يكن

شديداً، الا انها تظاهرت بالوجع الشديد وصرخت متأوهة عن قصد.

وأحست ان ذراع جايسون تشدها اكثر من قبل، فازدادت استناداً اليه وهي تشعر بالارتياح. وأدركت ان السبيل الوحيد لاشباع جوعها الشديد الى عطفه ومودته هو ان تختلق أزمة ما. وقال لها جايسون:

- يجب ان أعود بك الى البيت لأرى تماماً ماذا أصابك. فلا فائدة من محاولة معرفة ذلك هنا.

فصاحت ديانا:

- لا حاجة الى ذلك... يكفي ان تذهب معنا الى بيتنا، وهناك يمكن معالجة الأمر بالتي هي احسن.

فأجابها جايسون بحزم:

- شكراً لك يا ديانا، ولكني أفضل ان افعل كما قلت.

والتفت الى سارة قائلا:

- هل تستطيعين ان تستندي على ذراعي يا سارة، فأحملك الى رصيف الميناء؟

ورفعها بدون صعوبة، فتعلقت بعنقه وخبأت وجهها في شعره الأسود الكث. وصعد بها السلم ثم أوقفها على الأرض قائلا:

- انت خفيفة كالريشة. والآن انتظري هنا ريثما أذهب وآتي بسيارتي.

وأقبلت ديانا يتبعها اوليفر وقالت:

- ألا يمكن لأوليفر ان يأخذها الى البيت، حيث تعتني بها العمة فيرا؟

فأجابها جايسون:

- العمة ليست في البيت، فهي في زيارة لأحد المعارف. ثم أنني اشك في ان اوليفر يقدر ان يأخذ احداً الى أي مكان وهو في مثل هذه الحالة. واني أنصحك يا ديانا ان تقودي انت السيارة لا هو.

وحلقت ديانا فيه ملياً وهي حائرة في أمرها، هل تتراجع عن موقفها ام تستمر فيه؟ ويبدو انها قررت التراجع فقالت لجايسون:

ـ كانت الحفلة رائعة على كل حال... نراك غداً في الميناء لدفع الترتيبات الأخيرة.

فأجابها جايسون وهو يبتعد عنها بسرعة لجلب سيارته:

ـ بكل تأكيد.

ونظرت ديانا الى سارة، وكانت جالسة على حجر، وقالت لها:

ـ هل تريدين ان ننتظر معك الى حين عودته؟

فأجابتها قائلة:

ـ لا. لا أرجوك. لا حاجة الى ذلك. وداعاً والى لقاء آخر.

وتمتمت ديانا بصوت مسموع:

ـ يا لها من سهرة بائخة! تعال يا عزيزي. دعنا نستقل السيارة.

وأمسكت بذراع اخيها وسارت به وهي بادية الاضطراب في اتجاه السيارة. وتنفست سارة الصعداء حين رأتهما يبتعدان في السيارة... ولم يبق عليها الا ان تنتظر عودة جايسون التي قد لا تكون عودة ميمونة، لأنها أفسدت عليه السهرة هو ايضا.

ولكنه حين عاد لم يوجه اليها أية كلمة لوم على ما سببته من مضايقة أدت الى انهاء السهرة قبل أوانها. فساعدها على صعود السيارة ثم جلس وراء المقود وقال بلهجة ساخرة:

ـ هل أنت مرتاحة الآن يا عزيزتي المسكينة؟

فأجابته وهي تبتعد عنه ما أمكن:

ـ نعم، شكراً.

وبعد فترة من الصمت لاحظت سارة اثناءها ان جايسون لا يسير في الطريق التي جاء منها، فسألته قائلة:

ـ ألسنا عائدين بالعوامة؟

فأجابها ببساطة:

ـ كلا. سنأخذ الطريق الطويل، فالوقت مناسب للنزهة.

- ولكنك وعدت بارجاعي الى البيت، لكي...
فقاطعها قائلا:
- لكي أفحص كاحلا لم يصب بأي أذى!
- كيف عرفت ذلك؟
- لم أشك في الأمر مطلقاً. لأنك لم تظهري اي وجع حين لمست كاحلك لأول مرة... فلماذا قررت بعدئذ التظاهر بالوجع وتمثيل هذه المسرحية؟
- لأني لم أشأ ان أذهب الى بيت فوريس.
ولم ينظر اليها، ولكنها استطاعت على ضوء البريق المنعكس من أنوار السيارة ان ترى حاجبيه يرتفعان علامة التفكير.
وانقضت فترة طويلة أخرى من الصمت، ففكرت ان جايسون لم يظهر اي انزعاج لعدم انهاء السهرة في بيت فوريس، فسرها ذلك كما لو انها تلقت هدية لا تثمن.
واجتازت السيارة وبرهام عبر الطريق الساحلية ثم قال جايسون:
- سنصعد التلال، وهناك نتوقف ونشرف على منظر رائع.
وتساءلت سارة بينها وبين نفسها بخوف واضطراب عما قد ينتظرها بعد التوقف والتأمل في المنظر الرائع.
وأخيراً وصلت بها السيارة الى المكان المقصود، فتوقفت ولم يكن الظلام خيّم بعد، وحين تطلعت سارة الى تحت رأت منظراً ولا أروع. كانت مياه البحر تلمع كالفولاذ المصفح، والبيوت والمنازل التي على ساحله ترسل بصيص نورها كسراج الليل. وكان الضباب يصعد شيئاً فشيئاً عبر الحقول المجاورة.
ونظرت سارة الى جايسون قائلة:
- ما أجمل هذا المكان!
فأجابها:
- نعم، ولكني لم آت بك الى هنا لهذا الغرض. يجب ان أتحدث اليك، وهذا المكان مناسب، خصوصاً والعمة فيرا لا بد ان تكون

رجعت من زيارتها.
وأصلح من جلسته بحيث يستطيع ان يراقبها جيداً، ثم تابع قائلا:
- اخبريني أولا لماذا لم تريدي ان تذهبي الى بيت فوريس.
- لأني لم أشأ الانفراد بأوليفر. كان جريئاً وقحاً، مما ضايقني كل المضايقة.
- ولكن لم يظهر ذلك عليك حين سلطت النور عليكما وأنتما في الفراش.
- الظواهر كثيراً ما تغش وتخدع... وانت دائماً تحكم بالظواهر.
- هل تحاولين اثارة الخصام بيننا يا سارة؟
كان هذا الكلام يخيفها منذ اسبوع، هناك في الغربة، ولكنه لم يعد يخيفها الآن. فأجابته بشجاعة:
- لا أبالي بشيء بعد الآن. فاذا كنت تريد الخصام، فأنا مستعدة له.
فأجابها بلطف لم يعرف عنه في مثل هذه الحالة:
- لا أريد الخصام... اذن، فأنت لم تكوني تغررين به لأنه ثري جداً كما تعلمين!
فأثار كلامه غضبها، فصاحت به:
- كفاك كلاماً عن المال. الا تستطيع ان تفكر في شيء آخر؟
- في وسعي التفكير في أشياء كثيرة... ولكن ما لنا ولذلك الآن. هل تحاولين ان تقنعيني انك لم تكوني تريدين فوريس؟ اذن، لماذا لم تصرخي وتستنجدي؟
- لأني لم أشأ ان أزعجك وأحرجك، فهما قبل كل شيء من أصدقائك.
- كلا، ما هم من أصدقائي، هم مجرد زبائن.
وتسرعت سارة وقالت:
- هل تعودت الانفراد بزبائنك من النساء في غرفة مظلمة؟

فأجاب بهدوء:
- أهذه هي المسألة اذن؟ الآن فهمت.
- ماذا فهمت؟
- لا شيء. مجرد فكرة.

وطالت فترة الصمت من جديد، حتى كادت سارة تختنق. فوضعت يدها على عنقها وقالت:
- هل لهذا جئت بي الى هنا؟

فأجابها بصوت هادىء عميق:
- كلا. خيل الي انه لا يمكن ان نتفاهم تفاهماً صحيحاً على أي شيء. وأظن ان الوقت حان لأن تخبريني القصة بحذافيرها وكيف انتهت بزواجك من تيم، وماذا حدث بعد ذلك... فأنت تصرين على القول اني أسأت الحكم عليك... فأرجو ان تبرهني لي ذلك؟

كان هذا ما تاقت سارة اليه، وحين جاء شعرت بالرعب، فقالت:
- ولكن، هل تصدقني؟ أم انك كعادتك ترمي كل ما أقوله لك في وجهي؟
- لا أدري. عليك ان تغامري.

وضاق صدرها لهذا الكلام، فاستندت في مقعدها الى الوراء وتأوهت قائلة في نفسها انها لو اخبرته حقيقة الأمر ولم يصدقها، فعندئذ تأتي نهاية كل شيء ويكون عليها ان تغادر بيته في أسرع وقت والى الأبد.

وقالت له:
- حسناً، سأخبرك بكل شيء.

وهناك، في ذلك المكان المرتفع، والظلمة تلف الكون، أخبرته بكل شيء، كيف مات والدها وهي طفلة، وكيف تزوجت والدتها برالف: ومما قالته له ان العائلة كانت ميسورة، وتقطن في منزل جميل في ضاحية لندن. وبعد موت والدها أرسلت الى مدرسة داخلية، ثم

قيل لها بعد فترة قصيرة ان والدتها توفيت. وكانت آنذاك في السابعة من عمرها.

وسألها جايسون قائلا:

- وهل كان رالف يهتم بك ويزورك احياناً؟

فأجابته قائلة:

- زارني مرة واحدة وأخبرني انه كان عليّ ان أبقى في المدرسة لأنه لا يقدر ان يأخذني لأسكن معه. ولم يكن لدي أقرباء من أي نوع، يمكنني الاقامة عندهم. وأخبرني رالف ايضا ان المال لا يكفي الا لاقساطي المدرسية، وان عليّ ان لا أتوقع أي شيء اضافي منه.

- اذن، كان هو الذي يدفع اقساطك المدرسية.

- كلا. علمت بعد ذلك بسنوات عديدة ان والدي تعاقد مع شركة تأمين عند ولادتي على ان تنفق على دراستي، وهكذا لم أكن في الواقع مدينة لرالف بأي شيء.

وأخبرته كيف ان رالف اتى لزيارتها بعد ذلك بعدة سنوات، اي عندما اقترب وقت الانتهاء من دراستها، وأخذها للسكن معه. فكانت ترافقه في رحلاته الى المنتجعات التي يؤمها الاثرياء، وينفق على ملابسها الفاخرة ويعرفها على اصدقائه.

وقالت سارة لجايسون:

- كان يعتقد اني لا أزال ساذجة، وهذا صحيح. ذلك لأن المدرسة لا تعلم الخبرة الحقيقية. وكان رالف لطيفاً معي، وحلو المعشر الى حد بعيد. ولكنه لم يكن يسمح لي بمعاشرة الشبان أمثالي، لأنه لم يرد ان أقع في الحب فأفارقه. وصدقت كلامه. وبعد حين صادفت تيم في اكابولكو.

ولزمت الصمت فترة، فحثها جايسون على متابعة الكلام فقالت:

- وقع تيم في غرامي وطلب مني ان أتزوجه، فوافقت بعد ان عجزت عن اقناعه بالرجوع عن طلبه هذا. كنت أميل اليه كثيراً،

ولكني لم أقع في غرامه. وفي أي حال لم أكن أعرف ما هو الحب.

وأخذت نفساً طويلا قبل ان تتابع كلامها، فأخبرته عن زيارة كارلوس سورانو في قصره في مدينة مكسيكو، وعن الشعور الذي أثارته تلك الزيارة وكيف حاول رالف ان يقنعها بالزواج به. ثم ذكرت لجايسون بالتفصيل كيف غضب رالف لأنها لم تشأ ان تتزوج كارلوس، وكيف حبسها في غرفتها في الفندق الى ان تقرر اما الزواج بكارلوس او العيش وحيدة لا تملك شيئاً.

وقال جايسون:

- وعندئذ عثر عليك تيم...

- لا. نعم. أنقذني من يد رالف، وأخذني الى مكسيكو حيث تزوجنا. كان تيم يفكر وينفذ كل شيء. وفي القطار جرى ما جرى، وأنت تعرف بقية القصة.

وبعد صمت قالت لجايسون:

- كان تيم يحبني من كل قلبه، وأنا كنت أميل اليه كثيراً. ولا بد انني كنت سأحبه في النهاية وأمنحه كل شيء.

ونظرت صوب الأفق البعيد والدموع تتساقط من عينيها.

فسألها جايسون:

- ألم تعاشري تيم؟

فأجابته قائلة:

- وهل من الضرورة ان تعرف؟

- نعم، من الضروري.

- كلا، ففي ليلة زواجنا قال لي اني كنت متعبة، فلم يشأ ان يزعجني.

واستسلمت للبكاء كطفل، فتركها جايسون لتهدأ قليلا، ثم قال لها:

- اذن، لم تكن هنالك خطة للاستيلاء على بعض ما تملكه عائلة نايت من ثروة؟

فقالت له:
- لم أكن أعلم آنذاك ان لعائلة نايت أية ثروة.
- ولكنك يجب ان تعلمي الآن ان للعائلة ثروة ضخمة. فوالدي ورث عن والده مالا كثيراً، فوظفها في بناء السفن. وحين توفي، منذ عشر سنوات، ترك ارثه مناصفة بيني وبين تيم. وحصة تيم التي يمكنك المطالبة بها الآن، بوصفك ارملته، تبلغ مبلغاً لا بأس به من المال. فلو شئت سحبها من الشركة، لتركتني في حالة مالية صعبة. ذلك لأني كنت في المدة الأخيرة اوسع اعمال الشركة، خصوصاً في الخارج، ولهذا السبب كنا في المكسيك.
فسارعت سارة الى القول:
- لن أفعل شيئاً من هذا. لن أفكر مطلقاً ان استولي على ثروة تيم. فأنا لست بحاجة الى شيء. وليس من الانصاف ان أفعل ذلك.
- الانصاف لم يعد فضيلة متداولة هذه الأيام، خصوصاً فيما يتعلق بالمال...
وأصرت سارة على القول انها لن تلمس شيئاً من اموال تيم. وبعد حين قال لها جايسون:
- اذن هذه هي القصة... لا خطة ولا مؤامرة ولا أي شيء من هذا القبيل بمشاركة رالف!
- كلا، وأرجو ان لا تقع عيني على رالف مرة أخرى، ما دمت على قيد الحياة.
ولم يتحرك جايسون في مكانه ولا تفوه بكلمة. ولكن نظراتهما تلاقت في تلك العتمة وكانت لا تخلو من التوتر. وخالجها شيء من الرعب فبدأت ترتجف.
وقال لها:
- أريد ان أصدقك، خصوصاً أني أصبحت أميل اليك يا سارة... اليك والى وجهك الصغير الجميل، وشعرك المشع كنور

الشمس، وجسمك الرقيق. . . وكم أردتك لحظة وقعت عيناي عليك لأول مرة.

وأحست سارة بالدماء تغلي في عروقها. وانتظرت ان يدنو منها ويطوقها بين ذراعيه، كما كانت تحلم دائماً. غير انه لم يفعل، بل أدار محرك السيارة وهو يقول:

ـ لو لمستك الآن لا أدري أين أنتهي. فالأفضل ان نعود الى البيت في الحال.

وقاد السيارة صامتاً وعيناه مركزتان على الطريق امامه. وكانت سارة مستندة الى الوراء وهي تكاد تغرق في سيل من الهناء. كان اذن يحبها، وما عليها سوى الأنتظار.

واجتازت السيارة القرية بأكواخها المضاءة في وسط الظلام، ثم انعطفت نحو البحر حتى وصلت الى البيت.

وكانت فيرا هناك وسمعت صوت هدير السيارة فخرجت الى رأس الدرجات، فيما كانت سارة وجايسون يدخلان الباب الأمامي.

فقالت لهما:

ـ أهلا بكما. . . جئت منذ فترة وجيزة فرأيت سيارة واقفة هنا، وفيها رجل قال انه زوج امك يا سارة، واسمه السيد فرنسيس. ولم أعرف ماذا افعل، فدعوته الى الدخول عندما قال انك تنتظرين قدومه.

قالت هذا الكلام ودخلت البيت وسارت نحو المطبخ.

وكان رالف جالساً في غرفة الاستقبال يطالع احدى المجلات، فوقف بأدب وتهذيب حين دخلت سارة يتبعها جايسون.

فصاح بها مرحباً:

ـ كم أنا مشتاق اليك يا سارة عزيزتي. . .

وأقبل نحوها وأخذ يدها بلكتا يديه ونظر الى عينيها، ثم تابع قائلا:

ـ كيف خطر لك، يا صغيرتي، ان تهربي وتتزوجي في الخفية عني؟

ثم تلك الحادثة... آه كم تعذبت حتى توصلت الى معرفة ما جرى بعد جهد جهيد ووقت طويل... لماذا لم تعودي الي؟

فشعرت سارة بالاختناق، فوضعت يدها على عنقها وقالت له بصعوبة:

- كان عليك يا رالف ان لا تحضر الى هنا. فأنا لا أريد ان أراك.

وكان جايسون واقفاً وراءها فقال له:

- هذا رأيي أنا أيضا يا سيد فرنسيس. يجب ان أصارحك القول باني لا أرحب بك في بيتي، وأكون شاكراً لو تغادره في الحال!

فتظاهر رالف كم أصيب بأذى وقال:

- ولكن، يا عزيزي، لماذا...

فقاطعه جايسون قائلا:

- سمعت ما قلته لك، ولست مضطراً الى تقديم أي مبرر.

ونظر الى سارة وقال لها:

- اذا كنت تريدين ان تذهبي معه يا سارة، فعليه ان ينتظرك في السيارة خارجاً. اما اذا أردت الانتظار الى الغد، فبامكانك ذلك وأهلا وسهلا بك.

وسار نحو الباب ووقف هناك وقال لرالف:

- اذا أردت ان تعرف محامي فهو في دفتر التلفون واسمه براينت فما عليك الا التحدث اليه اذا شئت.

وهنا اندفعت اليه سارة وأمسكته بتلابيبه وصاحت به:

- ماذا تفعل يا جايسون؟ ليس الأمر كما تظن... أنا لم أطلب منه ان يأتي ولم أكن انتظر قدومه... لقد صارحتك بالحقيقة ألم تصدقني؟

فأجابها بقوله:

- كفانا كذباً وتدجيلا.

ووضع يده على مزلاج الباب وتابع قائلا:

- كدت أصدقك.

وفتح الباب وخرج. وبعد لحظة سمعت صوت هدير سيارته وهي تغادر المنزل.

٨- حاولت ان أكرهك!

عادت سارة الى غرفة الاستقبال، وكان رالف واقفاً الى جانب النافذة. فابتسم لها قائلا:

ـ هل غادر المنزل؟ انه رجل مشاكس!

فأجابته بصوت عال:

ـ سمعت ما قاله، وهذا منزله. فالأفضل لك ان تذهب.

ولكن رالف نظر اليها نظرة صارمة وقال:

ـ ولكنك زوجة اخيه، فلا يحق...

وتوقف عن الكلام ملياً، ثم تابع بلهجة هادئة:

ـ انظري يا عزيزتي! هذا كله تصرف مسرحي وغير واقعي. لماذا لا نجلس معاً، انت وأنا، ونبحث في الأمر؟ ما جرى بخصوص كارلوس لم يكن سوى سوء تفاهم. وكنت على خطأ في دفعك الى الزواج به، وأنت أحسنت جداً في الزواج بذلك الفتى المسكين. لم أكن أظن آنئذ، انه يملك ثروة طائلة... وكم مرة قلت لك انه يليق بك ان تكوني امرأة ارملة، اتذكرين ذلك؟

ولم تستطع سارة ان تتحمل، فصاحت به:

ـ اخرج من هنا. اخرج الآن في هذه اللحظة... لا أريد ان أراك بعد اليوم ولا ان أتعرف عليك... اخرج!

فأجابها رالف:

ـ حسناً، حسناً، يا عزيزتي... لا تضطربي. انا آسف...

سأذهب الآن، ولكنك لا تريدين ان تقيمي هنا طويلا مع هذا الرجل الذي غادر المنزل الآن، فهو رجل سيء ذميم. خذي، هذا هو عنواني في الاسبوعين المقبلين.

ووضع ورقة على احد الكراسي وقال مودعاً:

- هذه هي الحياة!

وتبعته سارة الى عتبة الباب وراقبته وهو يبتعد عن المنزل. ودخلت العمة فيرا الغرفة، فيما أغلقت سارة الباب. وقالت لها العمة فيرا:

- اين الآخرون؟ هل ذهب زوج امك؟ ظننت انه سيقضي الليلة عندنا.

فأجابتها سارة بابتسامة:

- كان عليه ان يذهب.

اما الآن وقد انتهى الأمر، فانها شعرت بهدوء مريح. وتابعت قائلة:

- وجايسون ذهب ايضا. اظنه عاد الى بيت فوريس. سيكملون السهرة هناك، ولكني لم احب ان أنضم اليهم.

ودنت منها العمة فيرا ووضعت يدها على كتفها وقالت:

- ما بالك؟ ماذا جرى؟

- لا شيء، لا شيء على الاطلاق.

فتأوهت فيرا وقالت:

- لا بأس، ولكنك تبدين تعبة مرهقة، فاصعدي الى الفراش وسأتبعك بشراب ساخن.

فأجابتها سارة:

- ليتك تفعلين. كم أنا شاكرة لك عطفك عليّ.

وصعدت الى غرفة النوم واستلقت في الفراش، ثم لم تلبث فيرا ان أخذت لها كوباً من الشراب الساخن وجلست قربها. فحدثتها سارة عما جرى في الحفلة وهي تفكر كيف يتسنى لها مغادرة المنزل قبل عودة جايسون.

وبعد حين نهضت فيرا مودعة، فاستوقفتها سارة قائلة:
ـ آسفة يا عمتي فيرا، لأني سأتركك غداً.
ففوجئت بهذا الخبر وصاحت:
ـ يا الهي! كنت أتمنى... كنت آمل... ولكن عليك كما يبدو ان تنضمي الى زوج امك. وكنت أجهل ان لك أقرباء، وجايسون لم يخبرني بشيء من هذا القبيل.
فقالت لها:
ـ كنت لطيفة معي أكثر مما استحق. ويؤلمني كثيراً ان أذهب.
ـ ولكنك ستعودين مراراً لزيارتنا... عديني بذلك؟
ـ نعم وبكل سرور.
وكانت سارة تعلم ان العمة فيرا لم تكن مقتنعة، وانها تأمل في الحصول منها على تفسير لموقفها المفاجىء، ولكن سارة لم تستطع ان تتكلم، مع انها كانت راغبة في رواية القصة كاملة لها.
واستندت سارة الى المخدة وقالت لفيرا:
ـ الحق معك، أنا متعبة جداً.
فأجابتها قائلة:
ـ هذا ما بدا لي واضحاً.
وانحنت فقبلت سارة على خدها، وحملت كوب الشراب الفارغ وهي تقول:
ـ نامي نوماً هنيئاً يا عزيزتي، والله يباركك.
ثم خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها.
وكانت تلك الليلة أول ليلة في حياتها لم يغمض لها فيها جفن. فحتى في تلك الليلة التي قضتها في مكسيكو مع جايسون، وهو نائم في الغرفة المجاورة، تمكنت من النوم ولو قليلا. اما هنا فلا، ومع ان غرفة جايسون كانت في الجانب الآخر من المنزل، الا انها كانت تستطيع ان تسمع صوت خطواته عندما يعود. ولم تكن تعرف على الاطلاق ماذا تعمل اذا التقته مرة أخرى، ولكنها كانت تدرك في

أعماقها انها ما ان تراه حتى تنحل تلك القبضة الفولاذية التي تطبق على رأسها.

وجلست على الكرسي قرب النافذة وهي ترتجف، بالرغم من انها كانت تلتف بغطاء الفراش. ونظرت من النافذة الى الفجر يرسل نوره الفضي فوق البحر الواسع. وتعجبت كيف ان جايسون لم يعد الى المنزل حتى الآن.

ولما أصبح الصباح اغتسلت ولبست ثيابها، ثم رتبت أشياءها في الحقيبة التي اشتراها لها جايسون في مكسيكو، وفكرت كيف ان كل متاع تملكه اشتراه لها جايسون.

وفي الساعة التاسعة نزلت الى الطابق السفلي وأعدت لنفسها كوباً من الشاي. وكان المنزل هادئاً. والخادمة لم تكن تجيء الى عملها قبل الساعة العاشرة، هذا اذا جاءت. وكان من عادة العمة فيرا ان تأخذ طعام فطورها الى غرفتها في الليلة السابقة.

وفيما كانت سارة تصعد عائدة الى الطابق العلوي، رأت ساعي البريد يلقي رسالة من شق الباب. فنظرت اليها وهي لا تتوقع ان تكون موجهة اليها. فلم يحن الوقت بعد لأن تتصل بها رئيسة المدرسة الآنسة غلن.

وكم كانت دهشتها شديدة حين كانت الرسالة من الآنسة غلن نفسها. ففتحتها على عجل وقرأت فيها ما يلي: «ستندهشين من سرعة اتصالي بك، ولكن بعد ان ودعتني خطرت لي فكرة قد تعجبك، وهي اننا نستطيع ان نجد لك عملا هنا، في المدرسة، كمعاونة لمديرة الأعمال المكتبية. وخطرت لي هذه الفكرة نظراً الى انه من المستحيل ان تبدأي بمتابعة الدراسة، كما طلبته، والسنة الدراسية الآن في منتصفها. واذا قبلت بهذه الفكرة، فبامكاني ان اخصص لك غرفة وأدفع لك راتباً شهرياً متواضعاً. فالرجاء ان تجيبي في الحال». ويلي ذلك توقيع الآنسة غلن.

وحملت سارة الرسالة الى غرفتها ووضعتها بعناية في حقيبة يدها

وهي تشعر بالارتياح لأن لها مكاناً تذهب اليه وعملا معيناً تقوم به. غير انها لم تشأ ان تترك أي أثر يدل على مكان وجودها. ذلك انها عزمت على ان يكون بين ماضيها ومستقبلها انفصال تام.

وسارت في الممر حتى وصلت الى الغرفة التي في آخره. كانت العمة فيرا جالسة في فراشها تشرب قهوتها، فابتسمت لسارة عند دخولها وبادرتها سارة قائلة:

ـ جئت لأودعك، فسأترك في الحال لألحق بالأوتوبيس الذاهب الى بورغوث.

فاختفت البسمة عن شفتي فيرا وقالت:

ـ آه يا عزيزتي، ظننت انك لن تغادري بمثل هذه السرعة والا كنت نهضت من فراشي باكراً وشيعتك الى الخارج. هل تناولت طعام الفطور؟

فأكدت لها سارة انها فعلت. ثم عادت الى غرفتها، فحملت حقيبة سفرها ونزلت الى الطابق السفلي.

وكانت فيرا نزلت من غرفتها ووقفت في البهو، فقالت لسارة:

ـ يؤلمني ان أراك تغادرين بمثل هذه السرعة يا عزيزتي. هل انت متأكدة انك بخير؟ ستستقلين القطار في بورغوث، أصحيح هذا؟ وزوج امك هل هو في لندن؟

فأجابتها سارة:

ـ نعم، وسأتصل بك حالما اصل الى هناك.

فرمقتها فيرا بنظرة حائرة وأجابت:

ـ نعم، نعم، أرجوك ان تفعلي. طبعاً، جايسون يعرف انك ذاهبة... لم يعد الليلة الماضية، فلا بد انه قضى ليلته في بيت فوريس.

فقالت لها سارة:

ـ نعم، هو يعرف اني ذاهبة، لأننا اتفقنا على ذلك البارحة.

ووضعت فيرا ذراعيها حول سارة وقبلتها وقالت:

- اسرعي اذن يا عزيزتي، اذا كان عليك ان تلحقي بذلك الاوتوبيس. وكم أتمنى لو تبقين معنا.

فودعتها سارة وداعاً حاراً وخرجت من المنزل.

وحالما وصلت سارة الى المدرسة، ذهبت رأساً الى مكتب الرئيسة وطرقت الباب فلم تلق جواباً. وبعد قليل من الانتظار، جاءت الآنسة غلن بردائها الاسود الذي تصر ان تلبسه عند القائها الدروس، فرحبت بها ترحيباً حاراً ودعتها الى دخول مكتبها. وهناك قدمت لها كرسياً وهي تقول:

- اذن، تلقيت رسالتي.

فأجابتها قائلة:

- نعم، شكراً يا آنسة غلن. في وسعي ان أبدأ عملي الآن في هذه اللحظة.

- يمكنك ذلك حقاً. وستفرح الآنسة باريت بالأمر لأن العمل المكتبي فوق طاقتها، وخصوصاً في مثل هذا الفصل من السنة... هل تعرفين الآنسة باريت؟ لا أظن انك تعرفينها لأنها تسلمت عملها هنا بعد ان تركت انت المدرسة. سآخذك وأعرفك عليها.

وألقت نظرها على هندام سارة، فاستدركت قائلة:

- ولكن، ربما يكون من الأفضل ان تغيري ملابسك أولا. وسأخبر ماترون في الحال ان يهيء لك غرفتك في الطابق العلوي.

وبعد ان شكرتها سارة، تابعت الآنسة غلن كلامها قائلة:

- يبدو ان احوالك لم تكن على يرام يا سارة. فالمتاعب التي صادفتك كانت قاسية. فأخذت شفتا سارة ترتجفان وهي تقول:

- نعم، كل شيء كان ضدي. وقصتي طويلة ولا وقت لك لسماعها. يكفي ان أقول لك اني لم أعد سارة تيلدسلي، بل أصبحت سارة نايت. تزوجت تيم نايت في مكسيكو منذ فترة وجيزة، ولكنه لاقى مصرعه يوم زواجنا في حادث اصطدام قطار. ودخلت المستشفى تحت تأثير الصدمة، وسرعان ما شفيت لأن الصدمة لم تكن

خطيرة.

وبدا التأثير واضحاً على وجه الآنسة غلن فقالت:

- يا لك من بائسة يا بنيتي... والآن اخبريني هل أنت حامل؟

- كلا، كلا. كل ما في الأمر هو ان لا مكان لي أذهب اليه ولا مال معي.

وأخذت الآنسة قلماً وكتبت على ورقة امامها اسم سارة الجديد، فقالت لها سارة:

- هل تمانعين اذا لم اخبر احداً بالأمر؟ افضل ان ادعى تيلدسلي للذين يعرفونني هنا بهذا الاسم. وسأنزع من اصبعي خاتم الزواج.

- لا بأس، اذا كان هذا ما تفضلين.

وقالت سارة:

- وشيء آخر... هل تسمحين لي بأن افتش بين الملابس المهملة لعلّي اجد فيها ما ألبسه لأن ملابسي هذه لا تليق بعملي هنا، أليس كذلك؟

فأجابتها الآنسة غلن بعطف ظاهر:

- نعم، والأفضل ان تسارعي الى مكان الملابس المهملة فأنت تعرفين مكانها.

ونهضت مودعة. وفيما هي تخرج وتغلق باب المكتب وراءها، كانت عينا الآنسة غلن تمعنان النظر اليها بتأمل شديد.

كانت المدرسة ملجأ أميناً. وكان العمل فيها كالمخدر. فخلال الاسبوعين اللذين يسبقان نهاية فصل الربيع الدراسي كان العمل يملأ جميع ساعات النهار. وكانت سارة تجلس الى طاولة صغيرة في غرفة الآنسة باريت. وكانت الآنسة باريت، بنظارتيها السميكتين، امرأة حلوة العشرة يطيب العمل معها، الا انها لم تكن من اللواتي يؤتمنّ على سر.

وتعلمت سارة بسرعة بعض الأعمال المكتبية التي أوكلت اليها، وتمرنت حتى صارت تطبع على الآلة الكاتبة باصبعين. وكانت تعاون

الآنسة باريت في كثير من الشؤ ون، حتى اصبحت تعرف كل مكان وكل شاردة وواردة في المدرسة.

وكان زملاؤ ها غادروا المدرسة في الصيف الفائت، ولم يبق سوى الطالبات الاصغر منها سناً، وهن لا يعرفنها، وكن ينظرن اليها نظرة متسائلة كلما دخلن مكتب السكرتاريا. وكان اعضاء الهيئة التدريسية يخاطبنها بلطف وعطف، لأنهن علمن من الآنسة أي مصيبة نزلت بها. وكانت سارة نزعت خاتم الزواج وعلقته بشريط في عنقها، فلم يكن يرى عندما تزرر قميص المدرسة الرسمي الذي كانت تلبسه بعد كل تلك الملابس الفاخرة التي تعودت خلال سنة وأكثر على ارتدائها. وكان ذلك القميص الابيض كل ما استطاعت ان تجده ملائماً في خزانة الثياب المهملة. وكانت امكانية الالتقاء بجايسون واردة، اذا هي ذهبت الى المدينة، لذا تمنعت عن الذهاب اليها في الوقت الحاضر.

كانت حياتها المدرسية باهتة لا اثارة فيها. فكانت تشعر احياناً كأنها عزلت نفسها عن العالم وأن لا شيء يمكن ان يلمسها او يبعث فيها الحياة من جديد. وفكرت سارة انها هي التي اختارت هذا النوع من الحياة، حين جاءت الى الآنسة غلن تطلب معونتها. فعندما توفر المال الكافي يمكنها ان تبحث في مسألة التخصص بالأعمال المكتبية في المدرسة. ولعلها تستطيع ان تحظى بمنحة مالية لهذا الغرض، بمساعدة الآنسة دون فيصبح باستطاعتها ان تتابع دراستها العليا في احدى الجامعات البريطانية الكبرى، وبذلك تصبح بمنأى عن معرفة جايسون بمكان وجودها، أكثر بكثير مما لو بقيت في تلك المدرسة الواقعة في المنطقة التي يسكنها. وهكذا يخرج نهائياً من حياتها، مع العلم ان تحقيق ذلك لن يكون سهلاً، بل سيجعلها تقضي الليالي الطوال في ألم وأرق مريرين. فكثيراً ما كان يستولي عليها توق شديد الى نظرة منه، أو لمسة، تجعلها تحس بالحنان والحب.

وانتهى الفصل الدراسي، فشعرت المعلمات والعاملات في المدرسة

كان حملاً ثقيلاً أزيح عن أكتافهن. وعاد الهدوء الى المدرسة، بعدما خلت ارجاؤها من الطالبات والغادين والرائحين من زوارهن، وكذلك من معظم اعضاء الهيئة الادارية، ومنهن الآنسة دون المسؤولة عن تدبير المنح الدراسية. وفكرت سارة ان الوقت اصبح ملائماً لمفاتحتها في الأمر.

ولكن قبل ان تفعل ذلك، أرسلت الآنسة غلن تستدعيها الى مكتبها، فلما دخلت بادرتها بالقول:

ـ اجلسي يا سارة واخبريني هل طاب لك العمل؟ اخبرتني الآنسة باريت انها راضية كل الرضى عن مساعدتك لها.

فأجابتها سارة قائلة بلطف:

ـ سرني العمل جداً، وأظن اني تعلمت منه الكثير.

ـ حسناً، وهل عندك أية خطة من اجل المستقبل؟

فكرت في استشارة الآنسة دون في امكان الحصول على منحة دراسية.

وهنا قدمت الآنسة غلن الى سارة صحيفة لندنية، فيها اعلان عليه علامة بالأحمر، وقالت لها:

ـ قبل ان تتخذي اي خطوة في هذا الاتجاه، أظن ان من المفيد ان تقرأي هذا الاعلان.

فقرأت: يطلب من السيدة سارة نايت، أرملة تيموثي نايت، الذي توفي في مكسيكو في اذار (مارس) الفائت، ان تتصل بمكتب «برانيت اند براينت» للمحاماة، في مدينة بول بمقاطعة دورسه، وذلك بأسرع وقت ممكن. ويلي ذلك العنوان ورقم الهاتف.

وتطلعت سارة الى الآنسة غلن عبر الطاولة وهي تشعر ان شفتيها بدأتا ترتجفان وقالت لها:

ـ افضل ان لا أذهب. فأنا لا أريد ان اتعامل على الاطلاق مع عائلة زوجي.

وكانت الآنسة غلن تنعم النظر اليها، مما جعل سارة تشعر كأنها

امام قاضي يستجوبها بشأن ذنب اقترفته.

فقالت لها الآنسة غلن:

- اظن انه من الأفضل ان تذهبي. عليك مسؤولية يا سارة، فانت الآن امرأة متزوجة. انا لا أعرف شيئاً عن الظروف، ولكن هذه الدعوة المنشورة في الصحيفة لا يمكنك تجاهلها.

وهنا عادت الى ذاكرة سارة كلمات الطبيبة مكناب في المستشفى، وهي: كوني شجاعة ولا تخافي من مواجهة الصعاب.

فقالت للآنسة غلن:

- الحق معك يجب ان أذهب.

فظهر الارتياح على وجه الآنسة غلن وهي تقول لها:

سأذهب بسيارتي هذا الصباح الى بول، ويسعدني ان ترافقيني الى هناك. ولكن دعينا نرى أولا اذا كان بامكاننا ان نأخذ موعداً من المحامي.

وتناولت الصحيفة وقرأت رقم الهاتف في الاعلان، ثم طلبت مكتب المحامي وأخذت موعداً لسارة ذلك الصباح.

وحين انزلتها من السيارة أمام مكتب المحامي، قوّت عزيمتها بقولها لها انها لن تقابل جايسون في المكتب، بل المحامي. فلعل جايسون لا يريد ان يراها، مثلما هي لا تريد ان تراه. كل ما عليها ان تفعل هو ان تقابل المحامي وتخبره بأنها لا تطمع في شيء من ميراث تيم.

وقالت لها الآنسة غلن ايضا، قبل ان تودعها:

- يمكنك ان تعودي الى المدرسة بنفسك.

فشكرتها سارة بحرارة وصعدت الى المكتب، وهناك اعلنت للفتاة التي استقبلتها انها سارة نايت، وانها على موعد مع السيد برانيت.

وحلقت فيها الفتاة متعجبة، لأن سارة في لباسها وهندامها لم يكن يظهر عليها انها صادقة فيما تدّعي، ثم قالت لها:

- تفضلي اجلسي يا... سيدة نايت. سأخبر السيد براينت

بحضورك.
وجلست سارة في مقعد مخملي بقرب النافذة وهي تشعر بشيء من الارتياح.
وبعد حين اخبرتها الفتاة ان المحامي مستعد لمقابلتها، وطلبت منها ان تتبعها الى مكتبه. وحين دخلت المكتب هب الى مصافحتها بوجه بشوش وأجلسها بلياقة وتهذيب في الكرسي قبالته، كما لو كانت أرملة في منتصف العمر لا في عز شبابها.
وقال لها السيد براينت:
ـ هذا لطف منك ان تحضري الى هنا يا سيدة نايت، فالطريق من لندن طويلة... الا اذا كنت تسكنين مع العائلة!
فأجابته بتحفظ:
ـ كلا، كلا، لا أسكن مع العائلة. وهذا يجعلني اسألك اذا كان الاعلان نشر في الصحيفة باقتراح من جايسون.
فأجابها قائلا:
ـ لا، لا. لم اجتمع بالسيد نايت منذ عدة أسابيع، اي منذ عودته من المكسيك. تلفنت له ليعطيني عنوانك فلم يكن يعرفه. كل ما كان يعرفه عنك هو انك ربما كنت تقيمين في لندن.
وبعد صمت قليل تابع قائلا:
ـ أقدم اليك اخلص التعازي يا سيدة نايت.
فشكرته سارة وهي تشعر بالارتياح لأن جايسون لم يكن وراء الدعوة، اذن فهو لا يعلم عن مجيئها لمقابلة المحامي.
وفتح المحامي ملفاً سميكاً كتب عليه بأحرف بارزة: املاك تيموثي نايت، المتوفي.
ثم قال لها:
ـ هناك مسائل متعددة يجب ان نبحث فيها، مثل ان نتطرق الى معالجة قضية الأملاك... هذا قد يكون لك موضوعاً غريباً، ولكن ارجوك ان تطلبي مني تفسير أية مسألة اقرأها عليك ولا تستوعبين

معناها.

ولم تستوعب سارة أي شيء مما قرأه عليها. وتلبية لطلبه أعطته وثيقتي ولادتها وزواجها، ثم توقفت عن سماع ما كان يقوله لها. وأخيراً لم تعد تحتمل، فقاطعته بقولها:

- ارجوك يا سيد براينت!

فتطلع اليها من فوق الأوراق التي كان يقرأها فتابعت كلامها قائلة:

- أنا لا أفهم كلمة مما تقرأه عليّ يا سيد براينت، ولن استطيع ان أفهم، مهما فسرت وشرحت لي. ولذلك أرى من الأفضل ان تقوم بتدبير كل شيء بمعزل عني... فأنا لا أريد شيئاً على الاطلاق من ارث زوجي، بل اكتفي بتوقيع كل ما تريدني ان أوقعه، ثم دعني أعود من حيث أتيت.

فتعجب السيد براينت من موقفها الغريب الذي لم يختبره بعد في مهنته وقال لها:

- ولكن يا سيدتي، سيكون من نصيبك بعد فرز حصة زوجك مبلغ كبير من المال... كبير جداً.

فوقفت سارة وقالت بحزم:

- لا أريد درهماً واحداً من هذا المال...

وحاول السيد براينت ان يتفهم موقفها هذا فلم تترك له مجالا. وأخيراً سألها عن عنوانها، فأعطته عنوان المدرسة لأنه العنوان الوحيد الذي لديها. فقال لها وهو يفتح لها الباب:

- سيكون عليّ ان ادعوك للمجيء الى هنا مرة ثانية.

- ألا يمكن ان يتم ذلك بواسطة البريد؟

- سأرى ماذا يمكنني ان أفعل يا سيدتي.

وكانا وصلا الى الطابق السفلي، فاذا بجايسون يتحدث ببشاشة الى الفتاة التي تستقبل الزبائن، فحياه السيد براينت قائلا:

- لم يخبرني احد انك هنا يا سيد نايت، تفضل...

وأشار الى السلم المؤدي الى مكتبه، فأجابه جايسون بدون ان يزيح نظره عن سارة:
ـ شكراً يا سيد براينت، ليس الآن. سأتلفن لك للاتفاق على موعد.
ثم التفت الى سارة وقال لها:
ـ تعالي يا سارة، لي حديث معك.
ولم تتحرك سارة من مكانها واستولى عليها ارتباك شديد، فاصطكت ركبتاها وعجزت عن الكلام. ولو لم يمسكها جايسون بذراعها ويقودها نحو الباب، لما قدرت على ذلك بمفردها.
وعندما خرجا كان نسيم البحر منعشاً، فتمالكت نفسها ونفرت من جايسون وهي تقول له:
ـ ابتعد عني، واياك ان تلمسني.
فتوقفا على الرصيف خارج مكتب المحاماة وواحدهما ينظر الى الآخر. ثم قالت له سارة:
ـ كان هذا شركاً نصبته لي. اخبرني السيد براينت انك لن تكون حاضراً.
فأجابها بتهكم:
ـ لكن السيد براينت لا يعلم، على ما يبدو، كم هو سهل رشوة موظفيه، ولو بشال صغير من الحرير.
فصاحت به:
ـ انك تثير اشمئزازي.
والتفت جايسون شمالا ويميناً كأنه يبحث عن شيء وقال:
ـ لا بأس، ولكن أين ينتظرك زوج امك؟ لا بد ان يكون معك!
فأجابت من غير تردد:
ـ أراك اخطأت فهمي كعادتك.
ـ أين هو، اذن.
ـ لا اعرف ولا أريد ان أعرف.

ونظر الى لباسها المدرسي وقال ساخراً:
ـ ومن أين جئت بهذا اللباس الجذاب؟
فحدجته بنظرة قاسية غاضبة وأجابت قائلة:
ـ اذا كان كل ما تريده هو ان توجه الي اسئلة لا أنوي الاجابة، فما عليّ سوى ان أعود من حيث أتيت.
قالت هذا الكلام وسارت في اتجاه محطة الاوتوبيس.
ولكن جايسون تبعها في الحال ووقف امامها ليمنعها من التقدم، ثم قال لها بصلابة وعزم:
ـ لن أدعك تذهبين الا بعد ان ننهي حديثنا.
ـ حسناً، ولكن بسرعة... وأحذرك.
فقاطعها قائلا:
ـ تعالي. سيارتي واقفة هناك.
وجلست في السيارة الى جانبه وهي جامدة كأن لا روح فيها. ولم تعلم الى أين يتجه بها، ولكنه حين أوقف السيارة وجدت انهما عند شاطىء البحر. ونزل جايسون من السيارة وفتح لها الباب وهو يقول:
ـ هناك أمر أريد ان آخذ رأيك فيه.
وأمسكها بيدها وقادها الى سلم حجري في حائط الميناء، ومنه الى قارب صغير مربوط في أسفل الحائط.
فصاحت به:
ـ ما هذا؟ هل تنوي اختطافي؟ وأية فائدة من ذلك ولا أملك الفدية التي قد تطلبها؟
فأجابها وهو ينظر اليها شزراً:
ـ هذا ما تظنينه أنت.
ـ وهل نحن ذاهبان الى مركب ما؟
ـ نعم، فالمراكب مهنتي.
وكان في الميناء عدد كبير من المراكب، بمختلف الأنواع

والأحجام. وحين اقتربا من احدها قرأت سارة اسم «ديانا» عليه، فارتعبت وخافت ان يكون هو المركب الذي يقصده. ولكن جايسون مر بها في اتجاه يخت آخر اكبر من يخت اوليفر حجماً، وقال لها:
- اهلا وسهلا!
وقفز الى سلم اليخت ومد يده اليها لمساعدتها على اللحاق به. وحين وقفت على ظهر اليخت، بعد ذلك بدقيقة او دقيقتين، تمتمت ولكن بصوت مرتفع:
- هذا شيء رائع. هل انت صنعته؟
فأجابها بابتسامة عريضة:
- نعم، ويسرني ان يحظى باعجابك. دعينا ننزل الى الغرفة.
وتبعته الى داخل اليخت وهي تقول:
- هذا أفخم وأجمل من يخت اوليفر.
فقال وهو لا يزال مبتسماً:
- صممته وأشرفت على صنعه بنفسي لأنه لي... وأنت ربما تلاحظين اني لا أرضى الا بالأفضل في كل شيء!
وأحست سارة ان شيئاً في داخلها بدأ يضطرب، فقالت:
- وهل انت واثق من ذلك؟
- الى الآن... نعم!
فتجنبت سارة نظرته ومشت تتأمل اليخت باعجاب فتبعها ووضع يديه على كتفها واجلسها على كنبة وقال:
- دعينا نتحدث يا سارة.
ونظر اليها لحظة وهو واقف بقربها، ثم مال عنها وأخذ يتطلع خارج النافذة ويقول متابعاً كلامه:
- لا أظنك تبالين بأن تسمعي قصة حياتي، فهي ليست طريفة على نحو خاص، كان كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة الي، كنت أقوم بالعمل الذي أحبه، حتى اني لقيت كل النجاح وعزمت على توسيع نطاق العمل بحيث يشمل التصدير الى الخارج. وهنأت نفسي لأني

لم أكن متعلقاً بأية امرأة لئلا يأخذ ذلك من وقتي ويصرفني عن التركيز على عملي.

والتفت اليها وهي صامتة تستمع اليه، ثم تابع قائلا:

ـ ولكن أملي هذا لم يتحقق، وسرعان ما وقعت عيني عليك ذلك اليوم في اكابولكو. وحين رميت ذلك الشيك في وجهي، شعرت اني أريدك اكثر مما أردت امرأة اخرى في حياتي.

واتسعت حدقتا عيني سارة لهذا الكلام، فتابع قائلا:

ـ وبعد ذلك... حسناً، لا لزوم لسرد كل ما حدث. فأنت تعرفينه. وأظن ان الشياطين كانت لي بالمرصاد: الغيرة والحسد والغضب والحزن والألم والجشع...

وقهقه ضاحكاً وهو يغرز اصابعه في شعر رأسه ويقول:

ـ نعم، في الأسابيع الأخيرة صارعت هذه الشياطين كلها، وعبثاً حاولت اقناع نفسي بالتزام جانب التعقل. فكان الجواب نفسه يتردد في كل مرة... احبك يا سارة وأريدك لي كل حياتي...

وفجأة خيم الأسى على وجهه وهو يقول:

ـ تصرفت معك تصرفاً مشيناً، فهلا تغفرين لي؟ يا لك من فتاة ساذجة بريئة.

واستولى الفرح على سارة ولم تستطع ان تضبط نفسها من شدة التأثر فتمتمت قائلة:

ـ نعم كنت ساذجة بريئة، ولكنك ذلك اليوم في كانكون علمتني الشعور كامرأة! احبك يا جايسون.

فأجاب قائلا:

ـ سارة! لم أكن انتظر هذا منك... كنت أظنك تكرهينني.

ـ حاولت جهدي ان أكرهك فلم أنجح!

وهنا تعطلت لغة الكلام وغرقا في نعيم من العواطف والذكريات.

ـ يا الهي، كم أنت جميلة يا حبيبتي. تعالي معي.

وعلى ظهر اليخت أخذ النسيم العليل يبرد حرارة خديها، فيما كانت ذراع جايسون تطوقها وهما يرسلان نظراتهما الى الأفق الأزرق البعيد.

وقال لها جايسون:

ـ ما رأيك ان نقضي شهر العسل في هذا اليخت يا حبيبتي؟

ـ سيكون ذلك النعيم كله... ولكننا ما انتهينا بعد من ذلك الحديث الذي كنت حريصاً على التطرق اليه... اخبرني هل كنت تعتقد اني غادرت المنزل مع رالف عندما خابرني تلك الليلة؟

ـ كلا. ولعلك في مناسبة اخرى تخبرينني أين كنت طوال هذه الفترة.

ـ وهل لا تزال تعتقد اني طامعة بتلك «الغنيمة» كما كنت تردد مراراً؟

فمد جايسون يده وشد على خناقها بلطف وهو يقول:

ـ في تلك الأيام السوداء ظننت نفسي انني رجل عنيد ومتشائم وساخر، اما الآن فلم اعد كذلك. كل ما تخبرينني به أصدقه. واذا صادف ان التقينا رالف مرة اخرى، فسنأخذه في نزهة بحرية ونلقي به في الأعماق.

ضحكا معاً وتناول يدها اليسرى، وكانت أعادت خاتم الزواج لمناسبة زيارتها للمحامي، فرفعها الى فمه وطبع عليها قبلة وقال:

ـ ما حرم منه تيم كان من نصيبي أنا. ولا شك عندي انه يفرح لأجلنا الآن حيثما هو، فهو كان عنوان الفرح ويريده للجميع.

فقالت سارة وقد عمت غشاوة على عينيها البنفسجيتين:

ـ نعم، نعم.

ضمها اليه وهما يحدقان عبر الأمواج المتلألئة الى الأفق البعيد.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

- زوجة الهندى
- السر الدفين
- طال انتظاري
- الوجه الآخر للذئب
- برج الرياح
- الماضي لايعود
- لقاء الغرباء
- وردة قايين
- عصفور فى اليد
- الغيمة أصلها ماء
- الهوى يقرع مرة
- خيط الرماد
- الصقر واليمامة
- حتى تموت الشفاه
- أصابع القمر
- وعاد فى المساء
- القرار الصعب
- الفريسة
- أريد سجنك
- خطوات نحو اللهب
- دمية وراء القضبان
- عذراء فى المدينة
- الامواج تحترق
- العروس الاسيرة
- رجل بلا قلب
- سيدة القصر الجنوبى
- شهر عسل مر
- عيناك بصري
- من أجل حفنة جنيهات
- رجل من نار
- نداء الدم
- ليالي الفجر
- ما أقصر الوقت
- قلب فى المحيط
- المجهول الجميل
- الزواج الابيض
- أقدام فى الوحل
- قال الزهر آه
- كيف أحيا معك
- غضب العاشق
- مزرعة الدموع
- الواحة
- آخر الأحلام
- هل تخطىء الانامل
- البحر الى الأبد
- الحصار الفضي
- الشبيه
- الكذبة
- الندم
- انت لي
- جراح باردة
- طائر بلا جناح
- عاطفة من ورق
- قطار فى الضباب
- قل كلمة واحدة
- مندلا
- تعالى
- السعادة فى قفص
- هاربة
- هذيان
- أرياف العذاب
- اللهب والفراشة
- لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعاً وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

أرجوحة المصير
الراية البيضاء
العذاب إذا ابتسم
الرجل الفراشة
أنشودة البحيرة
النصف الآخر
دورها فى اللعبة
حورية التلال
سيدة نفسها
دون أن تدرى
ضحية
صخرة الأمنيات
عقد الأصداف
عد فقيراً مثلى
لا تعتذرى أبداً
قبل أن ترحل
لو لم تسافر
لقاء واحد يكفى
مصارع الثيران
مازلنا غرباء
نصف الحقيقة
منارة فى الأنواء
وحدهما فقط
أطياف بلا وجوه
البحث عن وهم
الوادى السرى
بحر العتاب
بين الحلم والواقع
عروس إبليس
فصول النار
قيد الوفاء
لا أحد سواك

هـذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة.

تأخذك هـذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...

مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

